السبت 20 حزيران 2020
العدد 4079 السنة الرابعة عشرة
Samedi 20 Juin 2020 no 4079 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

يواكيم مبارك
فقيه العروبة والتنوير

صندوق النقد يصفع حزب المصارف: أرقام الحكومة دقيقة [2]

دياب: لا أعرف ماذا يفعل سلامة [3]

حصاد الخيبة

[10 ـ 11]

بعد ثلاث سنوات على تولّيه ولاية العهد، بنت «مقاجاة كورونا» وحماقة حرب أسعار النفط، حقيقة الطابع الخيالي لخطط محمد بن سلمان (أ ف ب)

قضية

العمليات في عز الانهيار... تحويل «التجميل» إلى «فرصة»!

6

اليمن

صنعاء تحبط تمرّد البيضاء

10

فلسطين

العدوّ يتدرّب على سيناريوات الضمّ

12

المشهد السياسي

صندوق النقد يصفع حزب المصارف: أرقام الحكومة دقيقة

هي ليست معركة لتحديد الأرقام، كما يصوّرها حزب المصرف، بنوابه ووزرائه وسياسيّيه ومسؤوليه ورجال أعماله. بل هي معركة محتدمة حول من سيدفع كلفة الخسائر الناتجة عن ثلاثة عقود من سوء الائتمان في المصارف ومصرف لبنان والمالية العامة. حزب المصرف انتفض على الخطة الحكومية، كما على صندوق النقد، لأنه ببساطة لا يريد تحمّل كلفة جدية لإطفاء الخسائر. الصفعة أمس أتته من صندوق النقد الذي كرّر مجدداً أن أرقام الحكومة هي الأقرب إلى الصحة

تحتدم معركة الأرقام بين مؤيدي الخطة الحكومية ومؤيدي إيجابياتها من جهة وبين حزب المصارف من جهة أخرى. ولم تعد هذه المعركة محصورة بين حزب المصارف وبين من سمّاهم رئيس لجنة المال والموازنة النائب ابراهيم كنعان يوم أمس بـ «الإعلام المضلل والمسؤول الشعبوي والمستشار المزيف»، بل باتت وللمفارقة مع صندوق النقد الدولي. بعد الاحتفالات التي أقامتها اللجنة النيابية الفرعية لتقصي الحقائق بسبب تخفيض أرقام الخسائر، تلقّى حزب المصرف صفعة جديدة من صندوق النقد، الذي أكد الناطق باسمه أن أرقام الحكومة هي المُعترف بها. وهو تصريح يضع حزب المصرف أمام واقع الدعوة إلى الخروج من المفاوضات مع صندوق النقد، والعودة الى ما يُسميه الحل الداخلي القائم على موبقات صندوق النقد والخطة الحكومية مع عدم الاعتراف بالخسائر كما رفض إشراك المصارف بكامل رساميلها في عملية

> خيّم التوتر على الاجتماع المسائي الذي عُقد في السرايا، حيث أكد دياب التمسك بأرقام الحكومة
>
> لم تتخذ الحكومة أيّ إجراءات لخفض الاعتماد على الدولار، فيما يستنفر مجلس النواب لإنقاذ المصارف

إطفاء الخسائر. فقد أشار المُتحدث باسم «الصندوق» ورئيس دائرة التواصل جيري رايس الى أن «هناك بعض التقارير في وسائل الإعلام في لبنان عن تقديرات خبراء صندوق النقد الدولي لخسائر القطاع المالي التي تعرضها خطة الحكومة. ومن أجل التوضيح، وكما ذكرنا من قبل، إن تقديراتنا تنسق إلى حد كبير مع تلك الواردة في الخطة ولم تتغير على نحو يُذكر. ويتعين أن تتسم الحلول للتعامل مع هذه الخسائر بالكفاءة والعدالة وطول الأمد. ونظراً إلى التحديات العميقة التي تواجه الاقتصاد، يكتسب كل من السرعة والحسم أهمية بالغة في تنفيذ الإصلاحات». وعلّق مستشار رئيس الجمهورية شربل قرداحي على هذا التصريح بتغريدة قال فيها: «للمرة الخامسة صندوق النقد الدولي يؤكد صحة منهجية احتساب الحكومة للخسائر في النظام المالي. كل الاحترام لما قام به النواب من جهد، لكن الواقع مختلف، والفجوة كبيرة، والخسائر تتراكم يوماً بعد آخر. هذا للأسف لن تغير فيه التصاريح والمقالات والتمنيات. المطلوب العمل سوياً لإنقاذ ما تبقّى».

كذلك أعاد وزير المالية غازي وزني، تأكيد السير بالأرقام التي تضمنتها الخطة الحكومية. كان يُفترض أن يجتمع ممثلون عن الحكومة وعن جمعية المصارف، ما بين اجتماع السرايا الذي عُقد يوم الاثنين وما بين اجتماع أمس. وزني كلّف مستشاره هنري شاوول (استقال من عضوية الوفد المفاوض مع صندوق النقد) بالتواصل مع رئيس جمعية المصارف سليم صفير للاتفاق على موعد اللقاء وتفاصيله، لكن الجمعية عمدت إلى تأخير الاجتماع، لأسباب يؤكد مصدر مطلع أنها تتعلق بانتظار صدور تقرير لجنة المال النيابية. رئيس الحكومة حسان دياب كان تمنى، بحسب مصادر السرايا، لو عُقد هذا الاجتماع قبل لقاء أمس، مؤكداً أهمية التواصل والعمل المشترك. وحضر اجتماع السرايا المسائي أمس كل من نائبة رئيس الحكومة زينة عكر، الوزيرين وزني وديميانوس قطار، حاكم مصرف لبنان رياض سلامة ونوابه الأربعة، المدير العام للمالية العامة آلان بيفاني، والمستشارين شربل قرداحي وجورج شلهوب، ومثّل جمعية المصارف كل من صفير ووليد روفايل ونديم القصار.

تأكيد التمسك بالخطة الحكومية لم يأت من ناحية وزني فحسب، بل كذلك أكد عليه دياب وقطّار، اللذان التقيا رئيس لجنة المال والموازنة النيابية ابراهيم كنعان، الذي زار السرايا صباحاً لإطلاع رئيس الحكومة على خلاصة عمل اللجنة الفرعية بشأن مقاربات الخطة المالية وما تضمنتها من أرقام. وقد أشار دياب إلى أنه سيتابع الموضوع مع كل الجهات، مشيراً إلى أن الجميع في خندق واحد إما نربح كلنا أو نخسر كلنا. في الاجتماع المسائي، خيّم التوتر المرتبط بتحديد الخسائر والمسؤولية عنها. وفي نقاش بين بيفاني وصفير، اعتبر الأخير أن المقاربة الحكومية غير دقيقة، فيما أصر بيفاني على صحة الأرقام معتبراً أن الخسارة موجودة بصرف النظر عمّن يتحملها. أما سلامة، فقد أشاد بالمقاربة الجديدة للعمل وبالتواصل القائم عبر اجتماعات السرايا.

(مروان طحطح)

سعر الصرف

من جهة أخرى، تبيّن أن لا جدوى من الآلية التي أقرها المصرف المركزي في السوق بهدف لجم ارتفاع سعر صرف الدولار. مشهد طوابير المواطنين وهم يصطفون أمام أبواب محالّ الصرافة لشراء الدولار، بعد إبراز هويتهم أو المستندات المطلوبة لتحديد وجهة استخدامهم لها، مع استمرار تحليق سعر الصرف، يؤكّد أن المصرف والصرافين يُسيئان تطبيق الآلية التي يتفقان عليها، ومن ثَمّ يخرجان لتحميل الناس مسؤولية سوء تطبيقها، بما يعكس تخبطاً في سلوكهما. فقد قررت نقابة الصرافين أمس إصدار بيان تعترف فيه بفشل الآلية، واتخاذ إجراءات جديدة من شأنها أن تؤدي إلى زيادة الاعتماد على السوق السوداء، مع ما يعنيه ذلك من انفلات الأسعار وصعوبة في الحصول على العملة الصعبة. ويستمر هذا الأمر في التأثير على أسعار السلع، إذ إن المواد الإستهلاكية وتحديداً الغذائية منها تُسعر وفقَ دولار «السوق»، بينما ينتهج المصرف المركزي منذ تشرين الأول الماضي حتى اليوم قاعدة «فليكُن الخراب»، ويغسل يديه من مسؤولية التدخل الحقيقي الذي من شأنه لجم انفلات سعر الصرف. وعوضاً عن ذلك، يتهم الناس بسوء استخدام حقهم في الحصول على الدولار. وفي بلد تترنّح فيه كل أشكال الأمن السياسي والغذائي والاقتصادي والمالي، لا تزال الحكومة شبه مستقيلة من دورها، وهي التي لم تتبنّ حتى الآن أي إجراءات للتخفيف من الاعتماد على الدولار. فقد كان بإمكانها بالدرجة الأولى، وضع قيود جدية لمنع إخراج العملة الصعبة من البلاد. بالإضافة إلى عدد من الإجراءات الخاصة بالمواد المستوردة، من خلال منع استيراد بعض السلع غير الأساسية أو فرض رسوم جمركية عالية على سلع غير ضرورية أو يُمكن إيجاد بديل محلي لها، فضلاً عن زيادة الرسوم على السلع التي يؤدي خفض استيرادها الى زيادة الإنتاج المحلي منها، بشرط عدم الاحتكار. كما يُمكن الحكومة خفض فاتورة استيراد الوقود والأدوية، وذلك إما عبر اتفاقات مع دول توافق على تزويد لبنان بالوقود بأسعار تفضيلية وبالليرة اللبنانية أو بدفعات مؤجّلة، وخفض استهلاك السكان لمادة المحروقات الخاصة بالتنقل من خلال تنفيذ خطة نقل عام تدفع بسكان لبنان إلى وقف الاعتماد على سياراتهم الخاصة مع البحث في إمكانية استبدال الفيول بالغاز قبل البدء بتنفيذ محطات التغويز. كذلك بالنسبة إلى الدواء الذي يُمكن تأمينه من خلال توقيع اتفاقات للحصول على الأدوية بأسعار منخفضة، تحديداً مع دول صديقة للبنان. كما على الحكومة اتخاذ إجراءات كفيلة بالحفاظ على تدفق أموال المغتربين التي يرسلها هؤلاء إلى عائلاتهم، وتعتبر حالياً الرافد الأساسي للعملة الصعبة التي يستخدمها مصرف لبنان والتجار لتمويل الاستيراد. وعلى الرغم من أن هذه الإجراءات ليست جذرية، لكنها على الأقل «إجراءات طوارئ» كفيلة بتخفيف وتيرة الانهيار.

وبينما لا يُفهم سبب تقاعس الحكومة حتى الآن، يظهر أن مجلس النواب لا يهتم سوى بإنقاذ المصارف من تحمّلها جزءاً من الخسائر المترتبة على القطاع المالي. وبدلاً من ذهابه الى ورشة مفتوحة لمناقشة حلول للأزمة إما يشعر بأنه معنيّ بها، سوى حين شعر المصارف بخطر تحميلها جزءاً من الخسائر، فاستنفر النواب الذين اجتمعوا في لجنة فرعية ووصل عدد الحاضرين فيها في بعض الجلسات الى 50 نائباً، تحت عنوان توحيد الأرقام بين الحكومة ومصرف لبنان والمصارف.

(الأخبار)

في الواجهة

دياب عن سلامة: لا يجيب عن أسئلتي ولا أعرف ماذا يفعل

على غرار الحجة التي تسلّح بها حاكم مصرف لبنان رياض سلامة بقوله إن تثبيته سعر صرف الليرة توخّى «شراء الوقت» في انتظار إنجاز الحكومات المتعاقبة الإصلاحات المطلوبة، يقارب رئيس الحكومة حسان دياب المشكلة نفسها بالوسيلة نفسها في انتظار حدث ما

نقولا ناصيف

بعض مَن أصغى إلى رئيس الحكومة حسان دياب في الأيام الأخيرة، لمس تبدّلاً في لهجته حيال حاكم مصرف لبنان رياض سلامة وجمعية المصارف، من غير أن يكتم انعدام الثقة بهما. إلا أنه أضحى أكثر ميلاً إلى الانفتاح والتحاور معهما.

في ما أدلى به:

1 - تعويله على استمرار تدخّل مصرف لبنان في السوق للجم سعر الدولار، مع أن المحاولة هذه - وقد اقترحها سلامة في جلسة مجلس الوزراء في 12 حزيران - أثبتت عدم جدواها، وتسبّبها في مزيد من الخسارة. تالياً إهدار العملة الصعبة التي يصير إلى مدّ الصرّافين بها، من غير أن تتوافر سوى في السوق السوداء. قال رئيس الحكومة إن المطلوب ما يقرب من مئة مليون دولار تُستخدم في السوق لشهرين أو ثلاثة أو أكثر بقليل، ربما يكون قد تحرّك الاقتصاد في هذه الأثناء، مبدياً اعتقاده بأن مئة مليون دولار كافية للسيطرة على السوق إلى ذلك الوقت. بيد أنه لم يقتنع بوجهة نظر محدّثه حيال مواجهته السوق على طريقة سكب المياه في سلة. تتبخّر دولارات مصرف لبنان فور تدخّله، من غير تحسّن سعر العملة الوطنية.

2 - بدا من الصعوبة بمكان تلمّس رضى دياب عن انتقال أرقام خطته الإصلاحية المالية من حكومته إلى مجلس النواب، وإلى لجنة المال والموازنة التي وجّهت إلى الخطة وأرقامها في جلسة الخميس المنصرم ضربة قاسية بكشفها أن الخسائر مضخّمة، واضطرارها إلى خفضها من 241 ألف مليار ليرة إلى 80 ألف مليار ليرة. مجرّد انتقال الملف إلى البرلمان أزعج رئيس الحكومة، فيما رمى رئيس المجلس نبيه برّي، مذ فوّض إلى لجنة المال هذه المهمة بعد جلسة مجلس الوزراء في 12 حزيران، إلى إنقاذ الأرقام المتباعدة والضائعة ما بين خطة الحكومة وتلك التي في حوزة مصرف لبنان وجمعية المصارف. مذ وضع مجلس النواب يده عليها، وضع الأرقام تلك كلها تحت الشبهة، وباشر فحصها. مبرّر امتعاض دياب انتزاع صلاحية منوطة بحكومته بإزاء خطة هي التي وضعتها، أضحت الآن في عهدة البرلمان الذي يقارب بدور بات يتجاوز الوسيط، وعلى قدم المساواة، بين ما تدلي به الحكومة وما يدلي به كل من مصرف لبنان وجمعية المصارف.

3 - لا يخفي رئيس الحكومة دوام انعدام الثقة بينه والحاكم، رغم الهدنة التي تسود بينهما بعد سجالهما المشهود الذي أعادهما إلى طاولة الحوار، رغماً عنهما: لا حكومة دياب قادرة على إقالة سلامة، ولا هو بالدور الذي يضطلع به والحماية المحلية والخارجية التي يستظلها قادر على إطاحتها. يُظهر دياب أمام محدّثيه استعداداً للتعاون مع سلامة، ويشكو من أنه هو الذي يخابره باستمرار، من غير أن يتلقى منه مكالمة. لا يفهم عليه، ولا يعرف ماذا يفعل، ولا يجيب مرة بعد أخرى عن أسئلته. عندما يُسأل عن تبرير مطالبة الحاكم بالتدخّل وتثبيت سعر الليرة رغم الانتقادات الحادة التي وُجّهت اليه باتباعه هذه السياسة منذ عام 1993 بلا توقف، يجيب رئيس الحكومة: نحن الآن في وضع استثنائي يوجب هذا الإجراء.

انعدام الثقة هو مشكلته أيضاً مع جمعية المصارف التي لا يركن إليها، ويقول إنها لا تصدُق معه عندما يوجه إليها أسئلة. يريد الانفتاح عليها، ودعاها إلى مجلس الوزراء وإلى الاجتماعات المالية، من غير أن يتردّد في القول إن حكومته ليست في صدد ضرب القطاع المصرفي، بل تتمسك به وتضعه في صلب النظام الاقتصادي والمالي للبلاد وحاجة ماسة إليه. إلا أن الجمعية توصد دونه الأبواب، مصرّة على اعتراضها على خطة تدعى إلى تنفيذها وتكبّد الخسائر من غير أن تُسأل رأيها فيها.

4 - يعزو دياب دفاعه عن التعيينات المالية والإدارية التي قرّرتها حكومته في 10 حزيران، إلى رغبته في توجيه رسالة إيجابية إلى الخارج عن مضيه في تنفيذ التعهدات التي قطعها، ولا يريد أمام «المجتمع الدولي» كسر صورته وحكومته، وإظهار عجزها وتكولها. تقاطع هذا الموقف مع ما سمعه المسؤولون اللبنانيون من السفير الفرنسي برونو فوشيه عن نتائج اجتماع عُقد في باريس في 5 حزيران، استضافه الإليزيه جمع مسؤولين كباراً تناول الوضع في لبنان، وشارك فيه فوشيه من بُعد. في الاجتماع أكد الحاضرون أن ثمة خطوات على الحكومة اللبنانية المسارعة إلى اتخاذها من أجل الحصول على مساعدة فرنسية أو دولية، مبدين ارتياحهم إلى الخطة الإصلاحية الحكومية، ودخول لبنان في مفاوضات مع صندوق النقد الدولي. تقدّم كهذا - بالنسبة إليهم - موضع ترحيب، بيد أنه غير كاف من دون إصلاحات أساسية، وهو مصدر قلق كبير لباريس من

> اجتماع في الإليزيه عن لبنان: رهان على المؤسسات العسكرية والقضاء

جراء تزامن التأخر في الإصلاحات مع حوادث واضطرابات أمنية. الفرنسيون غير متحمسين في الوقت الحاضر لعقد اجتماع لأصدقاء لبنان، في انتظار أن تنفذ السلطات اللبنانية التعهدات التي قطعتها في مؤتمرات سابقة.

ركّز المجتمعون على شقين، لاحظوا أن من المهم إيلاءهما أهمية رئيسية نظراً إلى ما يمثّلانه، هما الجيش والأسلاك العسكرية والأمنية والقضاء، مع تأكيد الحاضرين على الرهان عليهما.

توقفوا، تبعاً للمعلومات التي نقلها فوشيه إلى المسؤولين اللبنانيين، عند الأسباب التي حالت إلى الآن دون إصدار مناقلات وتشكيلات قضائية، فأطلعهم السفير على حيثيات الخلافات المحيطة بها، ناهيك بأنه سبق أن سأل محدّثيه اللبنانيين عن دوافع التأخر في إصدارها. من بين الأجوبة التي تلقّاها أن المناقلات والتشكيلات إجراء دوري يجريه مجلس القضاء الأعلى، وتأخر إصدارها - في معرض تبرير التعثر - لا يتسبب في شغور في هذه الإدارة اللبنانية الرئيسية. أضاف إلى أنها لا تندرج في نطاق الإصلاحات التي تودّ الحكومة اللبنانية إجراءها في هذا القطاع، مع تأكيد محدّثيه اللبنانيين أن الإصلاح القضائي الفعلي يكمن في اقتراح قانون السلطة القضائية المستقلة، الموضوع بين يدي مجلس النواب في الوقت الحاضر.

في حصيلة ما أخطره فوشيه إلى المسؤولين اللبنانيين، أن التأخر في بتّ المناقلات والتشكيلات يُعدّ إشارة سلبية يرسلها لبنان إلى «المجتمع الدولي» الذي ينتظر منه إصلاحات بنيوية وجوهرية، في رأسها القضاء إلى قطاع الكهرباء والنهوب الضريبي والجمارك. بيد أنه أبرز اعتقاده، في ضوء ما نجم عن اجتماع باريس، أن ثمة فرصة أخيرة أمام الحكومة اللبنانية لإظهار جديتها وعزمها الفعلي على تحقيق إصلاحات اقتصادية ومالية ومباشرتها سريعاً، سوى ذلك - أضاف - لا مساعدات متوقّعة من فرنسا، ولا من أيّ من دول مجموعة الدعم الدولية للبنان.

شكوى دياب من الحاكم انه هو الذي يخابره، ولا يفهم عليه (هيثم الموسوي)

تقرير

كندة الخطيب... مشتبه فيها (لا مُدانة) بالتخابر مع إسرائيليين

رضوان مرتضى

أوقف الأمن العام، أول من أمس، «الناشطة» كندة الخطيب، وشقيقها، بشبهة التعامل مع العدو الإسرائيلي، قبل أن يُترك شقيقها في اليوم التالي. انطلقت حملة تضامن مع الخطيب للاعتقاد بأنّ توقيفها جاء على خلفية تغريدة طاولت رئيس الجمهورية ميشال عون قبل أن تكشف مصادر أمنية أنّ توقيفها جاء بناءً لشبهات على تخابرها مع العدو الإسرائيلي ودخولها فلسطين المحتلة.

دورية من الأمن العام اقتادت الشقيقين الخطيب من منزلهما في حلبا عكار صباح يوم الخميس. لم تلبث أن أوقفت حتى انطلقت حملة تطالب بالحرية لكندة. وشارك كثيرون، من داخل لبنان وخارجه، في حملة التضامن المنذدة بتوقيف الخطيب على اعتبار أنها مناهضة لحزب الله. ساعات قليلة مرّت قبل أن ينطلق «هاشتاغ» بأنّ كندة الخطيب عميلة، هاشتاغ واجهته حملة مقابلة تدعي بأن تهمة العمالة ملفّقة لتشويه سمعتها.

وقال مرجع أمني لـ«الأخبار» إن توقيف كندة جاء بناءً على «لائحة لدى الأمن العام تُثبت تورطها في التخابر مع أشخاص داخل كيان العدو الإسرائيلي»، مشيراً إلى أنها «قدّمت معلومات للإسرائيليين». غير أنّ المرجع الأمني رفض الإفصاح عن طبيعة هذه المعلومات. وعلمت «الأخبار» أن الموقوفة التي تبلغ من العمر 24 عاماً لم تعترف أمام المحقق بما يُنسب إليها، إلا أن المصادر الأمنية تتحدث عن أدلة عبارة عن محادثات وتسجيلات تثبت الشبهات بحقها. في موازاة ذلك، كشفت مصادر أمنية لـ«الأخبار» أن كندة الخطيب سبق أن تقدمت، عام 2019، ببلاغين لدى قوى الأمن تُفيد فيهما أنّ شخصاً إسرائيلياً تواصل معها.

الموقوفة التي درست الأدب الإنكليزي والترجمة وتمارس التعليم، تُشهر على وسائل التواصل الاجتماعي تأييدها لتيار المستقبل ومناهضتها لحزب الله. وبحسب مصادر أمنية، فإن من بين الشبهات المساقة ضدها أنها دخلت «بلاد العدو» (فلسطين المحتلة) عبر الأردن. وفيما ينفي مدافعون عنها ذلك، تجزم مصادر أمنية بوجود «أدلة على ذلك». ويُفترض أن تُحال الخطيب على المحكمة العسكرية نهار الاثنين لاستكمال التحقيق معها أمام قاضي تحقيق عسكري. ومن المستغرب صدور إدانة لها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، رغم أن التحقيقات معها لا تزال في مراحلها الأولية، وليست كافية بعد للادعاء عليها من قبل النيابة العامة العسكرية، فضلاً عن عدم صدور بيان رسمي بشأن قضيتها عن المديرية العامة للأمن العام، ناهيك بأن صدور البيان والادعاء ليسا كافيين للتجريم.

قضية اليوم

تسلّل الأفارقة جنوباً: انكشاف نقطة ضعف أمنيّة لدى العدو

(هيثم الموسوي)

يحيى دبوق

على مدى سنوات، أقنع الجيش الإسرائيلي مستوطني شمالي فلسطين المحتلة، وتحديداً سكان المستوطنات المحاذية للحدود مع لبنان، أن الإجراءات الوقائية والتكنولوجية المتطوّرة «لا تسمح بمرور البعوض من لبنان»، وأن «الموقف الدفاعي حاسم ويمكن الاطمئنان إليه». لكن ما كشفه الواقع في الأشهر الأخيرة، جراء ظاهرة تسلل الأفارقة عبر الحدود اللبنانية، «ضرب الثقة بإجراءات الجيش الإسرائيلي»، كما ورد على لسان المستوطنين، إذ ما لا يمنع تسلل أفارقة لا ينجح في منع تسلل حزب الله في «ساعة الاختبار».

في تقارير الإعلام العبري أمس حديث عن أن ظاهرة التسلل تثير القلق والخشية، وإن كانت لا تحمل في ذاتها بعداً أمنياً خاصاً. وتل أبيب، بحسب ما يرد في إعلامها تحميل الجانب اللبناني مسؤولية ما يحدث نتيجة تراخيه الأمني، وتطالب بأن يسارع إلى ضبط الحدود من جهته، ما يعطي صدقية لأسئلة المستوطنين عن الإجراءات الأمنية لمنع التسلل من لبنان.

وينبع اهتمام الجانب الإسرائيلي من ظاهرة التسلل من تداعياتها المتعلقة ببعدين اثنين:

أن الحدود مع لبنان تتحول، وربما باتت بالفعل، بديلاً لتسلل الأفارقة من الحدود الجنوبية لفلسطين المحتلة مع مصر، حيث الحدود أُغلقت بالفعل في وجه المتسلّلين جراء جهد مصري إسرائيلي مشترك وخطة يتشارك فيها الجانبان إلى

> وصل متسلّلون إلى مدخل قيادة المنطقة الشمالية في جيش الاحتلال من دون أن يلاحظهم أحد

جانب الإجراءات التكنولوجية المتطوّرة.

في الواقع، العدد الكبير نسبياً من المتسللين الذين جرى ضبطهم واعتقالهم ومن ثم ترحيلهم إلى لبنان، يدل على أن عمليات التسلل تنجح في قسم كبير منها، وإلا لكان الضبط والاعتقال كافيَيْن في ذاتهما لمنع تكرار المحاولات. وهذه الإشارة وحدها دليل على نجاحات المتسللين في الوصول إلى مقاصدهم من دون ملاحظتهم، وقدرتهم على تجاوز الإجراءات التكنولوجية المتطورة التي يتغنّى بها الجيش الإسرائيلي على الحدود.

بحسب ما يرد من تقارير عبرية، معظم المتسللين يتوجهون إلى أماكن يمكنهم العمل فيها، من دون إجازة إقامة، سواء في المجال الصناعي أو الزراعي. ويتوزّع المتسللون، أو الغالبية الساحقة منهم، على البقعة الجغرافية الممتدة من إصبع الجليل إلى نهاريا وما بعدها.

مع ذلك يمكن لإسرائيل أن تتعايش مع هذا البعد، بما يشمل عدد المتسللين وجنسياتهم ومقاصدهم من التسلل المبني على الدافع الاقتصادي دون الأمني، مهما كان العدد كبيراً نسبياً. وأضيف إليه جراء نجاح الأفارقة بالتسلل، انكشاف لثغر دفاعية بات بإمكان حزب الله استغلالها يوم المواجهة الكبرى، أو الأيام القتالية المحدودة، بل وأيضاً بوصفها منفذاً لبلورة خيارات ردّية على اعتداءات في لبنان.

يمثّل البعد الثاني مكمن القلق الإسرائيلي الفعلي، وإن كانت التقارير الإعلامية إلى الآن، في حد أدنى، تتركّز على البعد الأول، بما يرتبط بتسلل الأفارقة والخسارة الاقتصادية المحدودة نسبياً جراء هذه الظاهرة.

من هذه الناحية، يكشف نجاح العدد الأكبر من المتسللين، هشاشة الإجراءات الإسرائيلية غير الفاعلة أمام أفارقة قادمين من بلاد بعيدة، وغير مطلعين على طبيعة الأرض والميدان والإجراءات الإسرائيلية، وبلا حرفية خاصة كتلك الموجودة لدى حزب الله المزوّد بالخبرة والرصد وجمع المعلومات والمعرفة المعمّقة للروتين الإسرائيلي وإجراءاته في الانتقال إلى الجهوزية وغيرها من المقوّمات.

ويتساءل المستوطنون عن الثغر الأمنية التي باتوا يتعايشون مع تبعاتها ونتائجها بشكل شبه يومي. رئيس المجلس المحلي في مستوطنة شلومي، غابي نعمان، هاجم إجراءات الجيش الإسرائيلي في ما يتعلق بظاهرة المتسللين، وقال إن مستوطنة «شلومي غير محمية من المتسللين وهو وضع لا يطاق». وطالب بالمعالجة السريعة لهذه الظاهرة التي باتت تقلق المستوطنين إلى حد كبير جداً. وعبّر عدد من المستوطنين في مقابلات مع موقع «واللا» الإخباري عن الخشية من الظاهرة التي يقابلها الجيش الإسرائيلي بـ«رواية القصص». وحسب ما قال أحدهم، فإن غريبة وعربية ولبنانية بأنه وزير مالية حزب الله، إلا أنّ الادعاء العام الأميركي عجز عن تقديم أي إثبات على صحة مزاعمه. ورغم ذلك، لا تزال وسائل إعلام كثيرة تصفه بالمتهم بتمويل حزب الله.

تقرير

«كورونا» يُحرّر قاسم تاج الدين؟

رضوان مرتضى

رجل الأعمال اللبناني قاسم تاج الدين، المعتقل في السجون الأميركية، سيكون في لبنان في غضون أقلّ من شهر. رغم أنّ محكوميته لم تنته بعد. هذا ما أكّده مرجع أمني لبناني لـ«الأخبار» مؤكداً أنّ إطلاق سراح تاج الدين مرتبط بظروف كورونا التي تُشكّل تهديداً لحياته على اعتبار أنه يبلغ من العمر 65 عاماً. ونفى المرجع المذكور كل ما يتردّد عن وجود أي صفقة تربط بين إطلاق تاج الدين، وبين تحرير اللبناني نزار زكا، الذي أدانه القضاء الإيراني بالتجسّس لحساب الاستخبارات الأميركية، أو العميل الإسرائيلي عامر الفاخوري من لبنان. وأكّد أن وكلاء الدفاع عن تاج الدين تقدّموا بطلب استرحام للنظر في وضعه الصحي. وأشارت المصادر إلى أنّ تاج الدين واحدٌ من مئات الحالات التي وافق القضاء الأميركي على تخفيض أمد محكوميتها أصحابها بسبب وباء كورونا الذي يهدّد حياتهم، علماً بأن رجل الأعمال اللبناني أوقف في آذار 2017، وحُكم بالسجن 5 سنوات.

وكشفت عائلة تاج الدين أن القاضي الأميركي ريجي والتون وافق في 27 أيار الفائت على إطلاق سراح قاسم تاج الدين لأسباب إنسانية، بسبب مخاطر كورونا على حياته إذا بقي في السجن.

تجدر الإشارة إلى أنّ تاج الدين حُكم بالسجن لمدة خمس سنوات وبدفع غرامة قدرها 50 مليون دولار أميركي، بعد عقد وكلاء الدفاع عنه اتفاقاً مع الادّعاء العام يقضي باعترافه حصراً بـ«جرم الاحتيال على قانون العقوبات الأميركية» لشراء بضائع من شركات أميركية. ورغم الاتهامات الأميركية له بالتورّط في تمويل الإرهاب ووصفه من قبل وسائل إعلام غربية وعربية ولبنانية بأنه وزير مالية حزب الله، إلا أنّ الادعاء العام الأميركي عجز عن تقديم أي إثبات على صحة مزاعمه. ورغم ذلك، لا تزال وسائل إعلام كثيرة تصفه بالتهم بتمويل حزب الله.

تقرير

الهيئة الوطنية للمفقودين: إن شاء الله خير

آمال خليل

بعد تسعة عشر شهراً على إقرار مجلس النواب لقانون المفقودين والمخفيين قسراً، شكّل مجلس الوزراء أول من أمس «الهيئة الوطنية للمفقودين والمخفيين قسراً». خطوة اعتبرتها لجنة أهالي الضحايا أولى الخطوات الفعلية لإنصاف أبنائهم وذويهم بعد 30 عاماً على صدور العفو العام عن جرائم الحرب الأهلية.

لن تكون الهيئة هي الأمل الأول الذي سيتعلق به أهالي الضحايا لكشف مصير أبنائهم. حكومة الرئيس سليم الحص شكّلت أول هيئة تحت اسم «لجنة التقصي عن مصير المفقودين والمخطوفين». لكنها بعد عمل أشهر، توصلت إلى إعلان وفاة جميع من فُقد أثرهم في الحرب! اعتراض الأهالي أدى إلى تشكيل هيئة «تلقّي الشكاوى» على عمل اللجنة الأولى. وبعد انسحاب الجيش السوري من لبنان، شكلت الهيئة اللبنانية السورية لكشف مصير المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية. سنوات طويلة فصلت بين هيئة وأخرى وصولاً إلى إقرار قانون المخفيين قسراً وتشكيل الهيئة المنبثقة عنه، توفي خلالها العشرات من الأهالي. فهل تحتاج الهيئة الجديدة إلى سنوات لتصل إلى حقيقة ما؟

عشرة أعضاء اختيروا من بين عشرات المرشحين الذين وصلت أسماؤهم إلى وزارة العدل بناءً على اقتراحات من لجنة حقوق الإنسان النيابية والهيئات المعنية بالقضية مثل لجنة أهالي المفقودين والمخفيين قسراً في الحرب الأهلية هم: القاضيان في منصب الشرف خالد زود وجوزيف معماري والمحاميان وليد أبو دية ودوللي فرح والأستاذ الجامعي زياد عاشور والطبيب الشرعي عبد الرحمن أنوس والناشطان في حقوق الإنسان غسان مخيبر وكارين أبو جودة

(مروان طحطح)

والناشطان في الجمعيات الممثلة لذوي المفقودين وداد مراد حلواني وجويس نصار.

الأعضاء الذين تتعلق آمال أهالي الضحايا بهم، عيّنهم مجلس الوزراء لولاية تمتد لخمس سنوات غير قابلة للتجديد. خطوتهم الأولى «ستكون أداء قسم اليمين أمام رئيس الجمهورية ميشال عون. أما الثانية فانتخاب رئيس ونائب له وأمين سر ووضع نظام اللجنة الداخلي والمالي وعرضها على مجلس الوزراء ليقرها بمراسيم»، وفق ما قال لـ«الأخبار» رئيس لجنة حقوق الإنسان النيابية النائب ميشال موسى الذي شارك في إعداد القانون وإقراره مع زميله السابق غسان مخيبر.

النظام الذي تتشابه وجوه حكامه مع وجوه زعماء ميليشيات الحرب الأهلية، سوف يواكب عمل الهيئة التي «تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال الإداري والمالي ويؤدي أعضاؤها والموظفون التابعون لها مهامهم باستقلال كامل عن أي سلطة أخرى في إطار أحكام قانون المخفيين قسراً». أما أعضاؤها، فيشترط في رئيسهم التفرغ لمهمته وعلى زملائه عدم الجمع بين عضوية الهيئة ورئاسة أو عضوية الوزارة أو مجلس النواب أو الترشح للانتخابات البلدية أو الاختيارية أو النيابية قبل انقضاء سنتين كاملتين على انتهاء عضويته أو أن يتولى أي منصب عام سياسي أو إداري. في زمن السلم، يضمن القانون حصانة الأعضاء وملاحقتهم (فيما خلا الجرم المشهود) ويمنع تفتيش مكاتبهم أو تعليق عملهم حتى في حالات الطوارئ والحروب.

حمّلت النصوص الهيئة مهامّ شاقة بحجم القضية التي تحمل اسمها. مع ذلك، يشير موسى إلى أن رئيسها وأعضاءها «لا يتقاضون أجراً عن مهامهم. لكن النظام المالي المنتظر إقراره يتعلق بالتوظيف وتشكيل مقر وسنسعى لتأمين موازنتها بشكل ثابت من ضمن موازنة رئاسة مجلس الوزراء». فماذا ينتظر الأهالي؟

يقر موسى بأن «الأولويات في البلد أخّرت في إقرار الهيئة التي تحتاج إلى نضال مستمر من قبل الأهالي والجمعيات المعنية للضغط على أعضائها وعلى الحكومة لتسريع الإنجازات». لكن مريم السعيدي والدة المفقود منذ 38 عاماً ماهر قصير، ليست مستعجلة أو متحمسة. في حديث لـ«الأخبار»، تقول إنها لا تنتظر شيئاً من هذه الهيئة: «أنا كامّ لن يُشفى غليلي ما دام الحكام هم أنفسهم في الحرب والسلم والمجرمون يعيشون بسلام فيما نحن لا نزال نبحث ونسأل». تستذكر مصير الهيئات الثلاث السابقة لتعزز يأسها وأملها المفقود. «الهيئة الجديدة ستفيد الأجيال اللاحقة وتحميها وتنصفها من جرائم قد تحصل. أما نحن وأولادنا فقد أصبحت مأساتنا من الماضي». سوسن الهرباوي شقيقة المفقود أحمد لا تملك سوى أن تتأمل خيراً. والدتها توفيت منذ سنوات قبل أن يبرد قلبها. سوسن تسلمت لواء القضية من بعدها. «إن شاء الله خير». إن صدقت نوايا الهيئة ومن خلفها الدولة، فالأعضاء سيجتمعون مرة على الأقل في الشهر وسيبادرون سريعاً إلى «الاتصال بالسلطات والأجهزة اللبنانية أو الأجنبية والطلب منها تزويدها بالمستندات أو المعلومات التي تراها مفيدة لحسن ممارسة مهامها. وعلى السلطات والأجهزة اللبنانية المعنية الاستجابة للطلب من دون إبطاء»، كما ينص القانون. علماً بأن من مهامها «نبش أماكن الدفن والتعرف إلى هويات الرفات المدفونة فيها وتقفي آثار المفقودين وضحايا الإخفاء القسري واقتراح آليات جبر الضرر للمفقودين والمخفيين قسراً وأسرهم، وتقديم الدعم للأسر».

> «الهيئة الجديدة ستفيد الأجيال اللاحقة وتحميها وتنصفها من جرائم قد تحصل»

تقرير

سعد و«مواطنون ومواطنات»: قانون قيصر حصار للشعب السوري

على وهج قانون «قيصر» الذي تنشغل فيه البلاد بقدر انشغالها بأزمتها المالية، كونه أحد أبرز أسلحة العقوبات الأميركية ضد سوريا والدول المجاورة لها، أو أي جهة تتعامل معها، فضلاً عن تأثيره على الاقتصاد اللبناني، تتوالى المواقف المنددة بهذا القانون كونه يستهدف الشعب السوري كما شعوب المنطقة. فقد اعتبر الأمين العام للتنظيم الشعبي الناصري النائب أسامة سعد أن ما تزعمه الإدارة الأميركية عن أن قانون قيصر يستهدف حماية الشعب السوري ليس سوى نفاق وتضليل. وأشار إلى أن «أميركا تستهدف فعلياً إخضاع سوريا وتقسيمها إلى مناطق نفوذ. وهي لا تتورع، من أجل تحقيق أهدافها، عن اللجوء إلى استخدام كل أنواع الأسلحة، بما فيها سلاح الحصار والتجويع». وأضاف سعد أن «سوريا هي الرئة الوحيدة التي يتنفّس لبنان بواسطتها، وهي أيضاً مدخله الوحيد نحو بلدان المشرق الغربي، وفرض الحصار عليها من شأنه أن يشلّ الأوضاع الاقتصادية المنهارة أصلاً في لبنان. غير أن المنظومة السياسية الحاكمة لا تبدو قادرة على مواجهة تداعيات هذا القانون على لبنان، وذلك بسبب تبعيتها لمرجعياتها الخارجية، وتفضيلها لمصالحها الفئوية والطائفية الخاصة على حساب المصالح الوطنية».

أما حركة «مواطنون ومواطنات في دولة» فرفضت اعتماد العقوبات على أية دولة وسيلة من وسائل التعامل بين الدول. فالعقوبات التجارية والمالية على الدولة ليست سوى حصار على شعبها. والزعم بأنها تؤدّي إلى معاقبة الحكّام وإخضاع الأنظمة أو تأليب السكّان ضدها تدحضه كل الوقائع في العالم، وفي منطقتنا بالأخص بعد ما شهدته من تجارب مؤلمة تكراراً، وآخرها القانون الأميركي المُسمّى («قانون قيصر»). وفي بيان لها قالت: «أمام المآسي التي أصابت المجتمع السوري بعدما أصابت المجتمع العراقي والمجتمع الليبي، والتي تتلبّد غيومها فوق المجتمع اللبناني، بكل بساطة، حكومة لبنان غير موجودة. يقف اللبنانيون في موقف المتلقّي، ويتشرذمون حول رهانات ومراهنات متفرّقة، لا لشيء إلا لأنهم يفتقدون للأداة التي تحميهم، أي لدولة واثقة من شرعيتها، أي لدولة مدنية، ما يدفع كل من شرائهم لاستعارة شرعية من هنا أو هناك أو هنالك». وأضافت الحركة أن «الدولة اللبنانية، متى قامت، تقرّ بأهمية استقرار محيطها وتأثير أوضاعه على شعبها، فتتعامل مع هذا المحيط بوصفه الخارج الأقرب والأهم والأكثر تأثيراً على مصالح مجتمعها، وهي تجنّد بالتالي طاقاتها أولاً لبلورة الرؤى السياسية التي تساهم في تعزيز شرعيتها في الداخل بالتوازي والانسجام مع طرحها كسياسة خارجية تسهّل تخطّي الدول المحيطة، أو بشكل أدقّ مجتمعات الدول المحيطة، لأزماتها السياسية وانسداد آفاقها، وتجنّبها ثانياً للتفاوض مع الدول الفارضة للعقوبات وتلك السائرة في ركبها للحصول، بالحجج السياسية والاقتصادية والإنسانية الواقعية، على استثناءات في ما خصّ علاقاتها بأقتصاد الدولة المستهدفة ومجتمعها. أليس هذا ما فعلته تركيا حيال العقوبات على إيران؟ والأردن حيال العقوبات على العراق؟ وغيرهما. أمّا في لبنان، فالدولة مفقدة، والحكومة الواجهة مشغولة في همّ إيجاد أيّ وسيلة للبقاء على الرغم من فشلها البائس».

(الأخبار)

> سعد: سوريا هي الرئة الوحيدة التي يتنفس لبنان بواسطتها

قضية

الـ Fresh money يعزز العمليات

في عز الانهيار... تحويل «التجميل» إلى «فرصة»!

يأمل المشرفون على قطاع التجميل في لبنان بتحويل تهديد الأزمة الاقتصادية الى «فرصة» للنهوض بهذا القطاع، عبر اجتذاب السياح والمغتربين للاستفادة من انهيار سعر صرف الليرة، وأصحاب الحسابات العالقة في المصارف ممن يخشون تبخّرها

رضا صوايا

هوس اللبنانيات (واللبنانيين) بعمليات التجميل دفع بأحد المصارف، عام 2007، إلى إطلاق «قرض الجمال» لتغطية مصاريف هذه العمليات التي كانت كلفة بعضها تصل إلى خمسة آلاف دولار. يومها، كان البلد لا يزال يلملم الآثار المدمرة لعدوان 2006 الإسرائيلي. في الأشهر الماضية، تراجع عدد عمليات التجميل بنحو النصف. إلا أنه تراجع يبدو مقترناً بتأثيرات «كورونا» أكثر منه بالأزمة الاقتصادية.

> بحسب رئيس الجمعية اللبنانية لجراحة التجميل الدكتور سامي

الأزمة الاقتصادية نفسها قد تكون سبباً في إعادة تنشيط «القطاع» في الاشهر المقبلة

سعد، «كان لبنان، قبل تراجع عدد السياح وخصوصاً العرب، بين الدول العشر الأولى في العالم من حيث عدد عمليات التجميل نسبة إلى عدد السكان، وفي موقع الصدارة في الشرق الأوسط». وهو واقع دفع بشركة «ماكينزي»، في دراستها الشهيرة حول مستقبل الاقتصاد اللبناني، الى التركيز على أهمية قطاع عمليات التجميل، في معرض تناولها لواقع القطاع الصحي، مشيرةً إلى ازدهار هذه العمليات في السنوات الأخيرة وتحوّل لبنان إلى مقصد للكثير من الأجانب نظراً إلى رخص الأسعار مقارنةً بالولايات المتحدة وأوروبا، وأيضاً للزبائن للعرب الذين يرتاحون للتعامل مع أطباء من الخلفية الثقافية نفسها.

سعد لفت الى أن الأزمة الاقتصادية وتراجع سعر صرف الليرة أمام الدولار «أثّرا بشكل كبير في عدد عمليات التجميل وأديا إلى انخفاضها بنسبة 50% تقريباً. التراجع طاول، تحديداً، عمليات الحقن بالبوتوكس والفيلر، وهي مواد مستوردة يخضع سعرها لتقلبات سعر الدولار، وإن كانت بعض الشركات لا تزال تسعّر على أساس 2000 أو 3000 ليرة للدولار». أكثر العمليات شيوعاً في لبنان، بحسب اختصاصي الأنف والأذن والحنجرة وجراحة التجميل الدكتور إبراهيم الأشقر، هي «عمليات الأنف، يليها الحقن بالبوتوكس والفيلر. ويبلغ متوسط سعر إبرة البوتوكس أو الفيلر حوالى 300 دولار»، مشيراً الى أن «البعض يسعّر الإبرة على أساس 2000 ليرة للدولار، لأن الهم الأساس هو الاستمرار». أما جراحات التجميل فإن «أسعارها تختلف في حال أجريت في المستشفى أو في العيادة».

إلا أن المفارقة أن الأزمة الاقتصادية نفسها قد تكون سبباً في إعادة تنشيط «القطاع» في الأشهر المقبلة، ومساهمته في اجتذاب الـ Fresh Money. إذ يشكّل المغتربون اللبنانيون والسيّاح العرب والأجانب الحصة الوازنة من زبائن عمليات التجميل في لبنان، وهو ما يعوّل عليه الأطباء بعد إعادة افتتاح المطار لإعادة إنعاش السياحة الطبيّة التجميلية، وخصوصاً أن هذه الفئة من الزبائن لا تتأثر بتقلبات سعر الدولار، لا بل إن تراجع سعر صرف الليرة يجعل الكلفة أرخص بالنسبة إليها. بحسب سعد، «بدأ العمل على إجراءات فعلية للاستفادة من تراجع سعر صرف الليرة، إذ أطلق وزير الصحة (حمد حسن) اللجنة الوطنية للسياحة الطبيّة والتجميلية التي تضم ممثلين عن وزارتي السياحة والخارجية، لتشجيع هذا النوع من السياحة، وسنطلق موقعاً إلكترونياً يتضمن المعلومات الضرورية لمن يرغب بزيارة لبنان للعلاج أو لإجراء عمليات تجميل، لجهة كلفة العمليات وأتعاب المستشفيات والأطباء وكلفة الإقامة مع عروضات وغيرها...».

وهذا، وفق سعد، «سيكون من شأنه استعادة قسم كبير من السيّاح الطبيين الذين قصدوا في السنوات الماضية دولاً أخرى للعلاج، كتركيا، نظراً إلى تدني الكلفة فيها بعد انهيار الليرة التركية». فيما لفت الأشقر الى أن «كثيرين من زبائننا ممن احتفظوا سابقاً بدولارات في منازلهم واستفادوا من تقلبات في سعر الصرف، وكذلك ممن لم يتمكنوا من سحب ودائعهم من المصارف، وجدوا في عمليات التجميل فرصة للاستفادة من أموالهم مخافة أن تتبخّر، وخصوصاً أن أطباء كثراً قبلوا أن يكون الدفع بشيكات مصرفية».

رغم ذلك، يخشى عاملون في «القطاع» من أن «الإيجابية» التي قد تنتج عن أزمة صرف الدولار، قد تشكل أيضاً فرصة سانحة للاستغلال بما قد يشوّه صورة القطاع، عبر بيع مواد غير صالحة أو قليلة الجودة تستخدم في عمليات التجميل. وبحسب سعد، «هذا الأمر ليس جديداً، ولا شك في أن البعض سيحاول الاستفادة من هذا الوضع والاتجار بصحة الناس، إلا أننا نعوّل على الأطباء الاختصاصيين والمحترفين وحسّهم المهني بما يحول دون وقوعهم في شرك استخدام منتجات مغشوشة».

أما الأخطر، فقد يكون في بروز «عيادات» و«أطباء» لا خبرة لهم في مجال التجميل لاصطياد الزبائن بأسعار مخفّضة، وهي مشكلة «بدأت اللجنة الوطنية للسياحة الطبيّة والتجميلية بالتصدي لها ومراقبة من يعملون في هذا المجال. وقد أعددنا لائحة بأسمائهم لإجراء إجراءات فعلية للاستفادة من تراجع سعر صرف الليرة، إذ أطلق وزير الصحة (حمد حسن) اللجنة الوطنية للسياحة الطبيّة والتجميلية التي تضم ممثلين عن وزارتي السياحة والخارجية، لتشجيع هذا النوع من السياحة، وسنطلق موقعاً إلكترونياً يتضمن المعلومات الضرورية لمن يرغب بزيارة لبنان للعلاج أو لإجراء عمليات تجميل، لجهة كلفة العمليات وأتعاب المستشفيات والأطباء وكلفة الإقامة مع عروضات وغيرها...».

وهذا، وفق سعد، «سيكون من شأنه استعادة قسم كبير من السيّاح الطبيين الذين قصدوا في السنوات الماضية دولاً أخرى للعلاج، كتركيا، نظراً إلى تدني الكلفة فيها بعد انهيار الليرة التركية». فيما لفت الأشقر الى أن «كثيرين من زبائننا ممن احتفظوا سابقاً بدولارات في منازلهم واستفادوا من تقلبات في سعر الصرف، وكذلك ممن لم يتمكنوا من سحب ودائعهم من المصارف، وجدوا في عمليات التجميل فرصة للاستفادة من أموالهم مخافة أن تتبخّر، وخصوصاً أن أطباء كثراً قبلوا أن يكون الدفع بشيكات مصرفية».

رغم ذلك، يخشى عاملون في «القطاع» من أن «الإيجابية» التي قد تنتج عن أزمة صرف الدولار، قد تشكل أيضاً فرصة سانحة للاستغلال بما قد يشوّه صورة القطاع، عبر بيع مواد غير صالحة أو قليلة الجودة تستخدم في عمليات التجميل. وبحسب سعد، «هذا الأمر ليس جديداً، ولا شك في أن البعض سيحاول الاستفادة من هذا الوضع والاتجار بصحة الناس، إلا أننا نعوّل على الأطباء الاختصاصيين والمحترفين وحسّهم المهني بما يحول دون وقوعهم في شرك استخدام منتجات مغشوشة».

أما الأخطر، فقد يكون في بروز «عيادات» و«أطباء» لا خبرة لهم في مجال التجميل لاصطياد الزبائن بأسعار مخفّضة، وهي مشكلة «بدأت اللجنة الوطنية للسياحة الطبيّة والتجميلية بالتصدي لها ومراقبة من يعملون في هذا المجال. وقد أعددنا لائحة بأسمائهم لإجراء إجراءات فعلية للاستفادة من تراجع سعر صرف الليرة، إذ أطلق وزير الصحة (حمد حسن) اللجنة الوطنية للسياحة الطبيّة والتجميلية التي تضم ممثلين عن وزارتي السياحة والخارجية، لتشجيع هذا النوع من

(مروان بو حيدر)

قضية

تشريع التعليم العالي عن بعد:

لسنا جاهزين بعد

فرضت أزمة كورونا «التعليم عن بعد» اضطراراً في التعليم العالي. لكن التجربة لم تكن مشجعة تماماً. وفيما برزت الحاجة إلى تشريع التعليم والامتحانات عن بعد التي لجأت إليها الجامعات اللبنانية قسرياً، دخلت لجنة التربية النيابية على خط النقاش وتبنّت اقتراح قانون تقدمت به النائبة بهية الحريري التروي في صياغة تشريع دائم في ظل منظومة الفساد في هذا القطاع

فاتن الحاج

باغتت جائحة كورونا التعليم العالي. ساد التخبط التعليم والامتحانات عن بعد في كثير من الجامعات التي لم تستطع أن تنهي العام الدراسي على نحو مرضٍ. البعض ذهب إلى تقييم تجربة «التعليم عن بعد» (e- learning) على مستوى المؤسسة الجامعية نفسها، لكن ليس على المستوى الوطني، في بلد تحكمه منظومة فساد تنسحب على هذا القطاع.

وقد تصدّر «التعليم عن بعد» اهتمام لجنة التربية النيابية التي حضر على طاولتها إقتراحا قانونيّن، الأول قدّمه النائب ادغار طرابلسي منذ عام 2019، ويهدف إلى تشريع التعليم عن بعد، كـ«نظام تعليم دائم يحاكي التطور التربوي العالمي والعربي»، والثاني أعدّته النائبة بهية الحريري استثنائياً لتنظيم «التدريس عن بعد» في حالات الضرورة فقط، ويُطبّق عند تثبت السلطات المختصة من مدى تحقق إحدى هذه الحالات ويتوقف عند انتفائها، وهو يشمل التدريس والامتحانات عن بعد، وينحصر بالجامعات المرخصة في لبنان.

المؤكد أنّ «التعليم عن بعد» بات أمراً واقعاً. لكن تبنيه على نحو جزئي أو على نطاق واسع يحتاج، بحسب الباحث في الشؤون التربوية هنري العويط، إلى نقاش علمي هادئ. إذ أن «تشريع هذا النمط من التعليم مطلوب، لكن مع الأخذ في الاعتبار الجانب التربوي المتعلق بإعادة النظر في المناهج وتدريب المعلمين والعدالة في ايصال التعليم إلى كل الطلاب». والأهم، أنه «يتطلب المزيد من التنبه والرقابة، إذ لا يمكن اسقاط منظومة متكاملة للتعليم عن بعد في بلد ما كما هي على مؤسسات التعليم العالي في لبنان التي تحكمها ثقافة وتنظيم مختلفان». لكن «خوض التجربة والمسار لا مفر منه، مع توسيع نطاق التشاور ليشمل جميع الخبراء المعنيين، ومن دون تسرع».

وكان اقتراح طرابلسي طرح تعديل قانون التعليم العالي 285 /2014 عبر اعتبار المؤسسات التي تعنى بالتعليم عن بعد بشكل كامل أو جزئي، محلية أو خارجية، مؤسسات تعليم عال ويخضعها لأحكامه، كما يتطرق إلى معادلة الشهادات المحصلة من جامعات خارجية تعنى بالتعليم عن بعد. وبحسب مصادر نيابية، فإن الإشكالية التي سادت النقاش داخل لجنة التربية هي أن أي تسرع في تشريع دائم لهذا النوع من التعليم في غير مكانه، نظراً لمنظومة الفساد والصفقات التي تحكم التعليم العالي في لبنان لجهة فوضى الترخيص للجامعات والتسجيل الوهمي للطلاب وتزوير الشهادات. وقد أثار الاقتراح أسئلة كثيرة حول الآليات الرقابية على هذا التعليم وشرعيته والامتحانات والكادر البشري والمناهج والشروط التي يجب توافرها لمعادلة الشهادات التي تمنح من الجامعات من الخارج، وحتمية تعديل مجموعة من قوانين التعليم العالي.

> الانتقال كلياً إلى التعليم الالكتروني ليس ممكناً في ظل التكنولوجيا المتدنية

عميد شؤون الطلاب في جامعة بيروت العربية صبحي أبو شاهين تحدث عن «حاجة ماسة لشرعنة هذا التعليم نتيجة استمرار أزمة كورونا، شرط وضع معايير جودة». ولفت الى أن البنى التحتية غير جاهزة حتى الآن للانتقال إلى هذا النوع من التعليم، مشيراً الى امكان اعتماد «التعليم المدمج» (blended learning) القائم على 50% تعليماً حضورياً في قاعات الدراسة و50% تعليماً عن بعد، «وهو ما قد يحل أزمة الامتحانات التي يمكن أن تجرى حضورياً، بعدما بيّنت التجربة عدم امكان ضبطها حتى في وجود الكاميرات». فيما اعتبرت رئيسة مركز الدراسات اللبنانية، مهى شعيب، أن الانتقال كلياً إلى التعليم الالكتروني ليس ممكناً في ظل التكنولوجيا المتدنية. ورأت أن «التجربة لم تكن مشجعة، إذ غاب التفاعل بين الأساتذة والطلاب، وجرى الاعتماد على الكم المعرفي والحفظ على حساب النقاش والتحليل، وازدادت اللامساواة في التعليم، وارتفع منسوب التنمر لا سيما بحق الأساتذة. أما التقييم فلم يكن دقيقاً وشابه الغش». الأستاذة في كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية، سابين الكيك، رأت بدورها أنه لا يمكن طرح خطة استراتيجية لهذا التعليم قبل تقييم التجربة الأخيرة. و«ثمة حاجة لمعرفة أداء الطلاب والأساتذة وانطباع المجتمع الأكاديمي، والأمر يحتاج إلى رويّة ولا يستدعي العجلة». وسألت: «هل الظروف مناسبة لطرح الموضوع، وهل هناك بلد في العالم انتقل كلياً إلى التعليم عن بعد؟ وماذا عن كلفة هذا التعليم؟». وشدّدت على أن «قطاع التعليم يبنى بالثقة مع المعنيين من طلاب وأساتذة وأهال، ويفترض أن تكون البنية النفسية والاجتماعية والبنية التحتية مؤهلة لذلك». لافتة إلى أن الانتقال الكلي إلى هذا التعليم «يلغي التفاعل داخل المجتمع الأكاديمي والمساحة المشتركة التي يوفرها حرم الجامعة».

وقد انبثقت لجنة فرعية عن لجنة التربية برئاسة النائب محمد الحجار تبنت الحل المؤقت الذي اقترحته الحريري مع حذف كل ما له صفة الديمومة في الاقتراح. وقال الحجار لـ «الأخبار» إن هذه «طريقة تعليم جديدة لها شروطها ومستلزماتها التي ينبغي مراعاتها لتأمين استمراريتها. وقد دعينا إلى اللجنة مجموعة من الخبراء في التعليم العالي، ونعمل على تجميع القوانين العالمية المتعلقة بهذه المسألة لنستوحي منها».

قضية

السلّة المدعومة تضرب مربّي الأبقار: الحليب الطبيعي يخسر أمام «البودرة»!

رأجانا حمية

لم تنتهِ «تداعيات» سلّة الدعم الغذائية التي أقرّتها وزارة الاقتصاد والتجارة أخيراً. أُخذ على الوزارة بدايةً أنها بدل الدعم المباشر للمستهلكين عبر قسائم شراء شهرية بالمواد الغذائية الأساسية مثلاً، عمدت إلى دعم السلع التي يتغيّر سعرها يوماً بعد آخر، ما يؤدي إلى تعزيز الاحتكارات وبراكم أرباح التجار. غير أن هذه، على ما يبدو، ليست السقطة الوحيدة في حكاية السلة المدعومة. مؤخراً، علت صرخة مربّي الأبقار الحلوب اعتراضاً على دعم السلة للحليب البودرة الداخل في صناعة الألبان والأجبان، علماً أن لهؤلاء شكوى مزمنة من السياسات التي تنتهجها الدولة في هذا القطاع.

وفي وقت كان المربّون ينتظرون دعماً من الدولة في ظل أزمة سعر صرف الليرة، ذهبت الدولة في الاتجاه المعاكس نحو دعم الاستيراد على حساب الإنتاج المحلّي. فبدل حماية قطاع إنتاج الحليب الطازج المحلي ودعمه، جاء دعم «حليب البودرة الموضّب بأكياس 25 كلغ» ليشرّع الباب أمام «توجه معامل الأجبان والألبان نحو استبدال الحليب الطبيعي بحليب البودرة في إنتاج الألبان والأجبان وبيعها على أنها منتجات من الحليب الطبيعي»، بحسب كتاب وجّهته نقابة مربي الأبقار الحلوب أخيراً إلى رئاسة الحكومة. وبما أن الكثير من المعامل تسحب الدسم الحيواني عند تصنيع بعض المنتجات، يمكنها بسهولة استبدال الحليب الطازج بالحليب البودرة من دون كشف الغش. من هنا، يصبح بديهياً القول إن أصحاب المعامل هم المستفيدون. إذ أن «حليب البودرة بعد ترويبه يعطي كميات أكبر من اللبنة والجبنة مما يعطيه الحليب الطازج»، على ما يقول عالمون بهذه الصناعة. ناهيك عن أن «لا حموضة في الحليب البودرة كما هي حال الحليب الطازج ما يجعل مدة صلاحيته أطول في نقاط البيع». والأهم من ذلك كله أن «المعامل التي تستورد مباشرة توفر 400 ليرة في كل كيلو من الحليب البودرة مقارنة بالحليب الطازج».

ومع توجه الدولة لدعم البودرة، فمن المؤكّد أنه سيكون في قائمة أولويات معظم المعامل، خصوصاً أن الحليب الطازج بات مسعّراً على أساس سعر صرف السوق ما يرفع سعره بين يوم وآخر. وحتى هذا السعر ليس واحداً، إذ يختلف من منطقة إلى أخرى. كل هذه الأسباب، أضعفت الحليب الطازج قبل أن يأتي قرار الدعم ليُسهم في وضعه على شفير الانهيار.

لهذه الأسباب، دعت النقابة وزارة الاقتصاد إلى إعادة النظر في قرار الدعم، لأنه «مؤذٍ للمربين، ومخالف للمواصفات» المعتمدة من قبل وحدة المقاييس «ليبنور» التي تمنع استخدام الحليب البودرة في هذه الصناعة باستثناء اللبنة، على أن يذكر في مكوّناتها أنها مصنّعة من الحليب البودرة، «وهو ما لا تقوم به معظم المعامل»، على ما يؤكد رئيس النقابة عمر خير.

قرار الدعم جاء ليزيد مشاكل القطاع... بلّة. وهي المشاكل التي كبرت بعد تشرين الأول الماضي، مع تدنّي إنتاج الحليب الطبيعي من 700 طن يومياً إلى حدود 400 طن بسبب تأرجح سعر الدولار، ما دفع كثيرين إلى ترك هذه «المهنة» التي لم تعد «توفّي». إذ أن ثمة أساسيات تستخدم في القطاع مستوردة في غالبيتها، ومنها «الأعلاف والمضافات العلفية والأدوية البيطرية واللقاحات والنطف للتلقيح الاصطناعي والبكاكير المستوردة قبل أن تصبح بقراً حلوب». لكل هذه الأسباب، لم يعد قطاع إنتاج الحليب الطازج مغرياً، وهو بالكاد يؤمّن اليوم 15% من الإنتاج المحلي للصناعة، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار انخفاض أعداد الأبقار المنتجة «من 35 ألف رأس حلاّب إلى 15 ألفاً»، على ما تقول نقابة مربّي الأبقار.

على أن هذه ليست أزمة صراع بين الحليب بـ«جناحيه»، البودرة والطبيعي، وإنما أزمة «سياسات تصرّ على الاستيراد»، على ما يقول زهير برو، رئيس جمعية حماية المستهلك. والمطلوب «تغيير هذه السياسات وإعداد خطط على أسس اقتصاد متكامل على مدى قريب ومتوسط، إذا كان المطلوب فعلاً أن نحقّق التنمية وندعم القطاعات الإنتاجية».

ذهبت الدولة إلى دعم الحليب المستورد بدل دعم مربي الأبقار في ظل أزمة الليرة (الأخبار)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كوتكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01 /666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

رَدٌّ على ردّ

مرّة أخرى... عن الشيوعيّين وحزب الله والمقاومة

أسعد أبو خليك *

تردّدتُ في الردّ على أحمد بدران (يُعرّف نفسَه على أنه «قيادي سابق في الحزب الشيوعي اللبناني») لا للسبب، بل لأنّ الكاتب أثبت فقراً في الأمانة الأدبيّة والنقل في الردّ على كلامي. وعندما يفتقر كاتبٌ ما إلى المصداقية، يعطيك سبباً لتجاهله. سأبدأ من الأوّل، أي بما هو شخصي وشخصاني (من قبله). في معرض ردّه عليّ، قال بدران ما يلي: «حين يكتب كاتبنا في مقالته هذه، بأنه كان من أوائل من كُلِّف في المقاومة الشعبيّة، وحتى قبل انطلاق جمّول». وهنا لن أعلّق، وسأترك المهمّة للقارئ. قد تكون هذه الجملة محاولة للهزل أو الفكاهة من قبل القيادي، وذلك محبّبٌ عندي، لأنّ في زماني في لبنان كنّا نسخر من نزعة ومسحة الوقار والجديّة المفرطة التي كان قياديّو الحزب الشيوعي يرسمونها على محيّاهم، وإذا كانت هذه الجملة هي في معرض التنكيت، نكون قد اكتشفنا أنّ ليس كلّ قياديّي الحزب كانوا يفتقرون إلى روح المرح والنكتة والدعابة. لكن يجب التعامل مع النصوص كما هي، خصوصاً إذا كان الموضوع جديّاً، بالغ الجديّة، مثل موضوع مقاومة إسرائيل. طبعاً، إن مقالتي لا تزال منشورة على الموقع، وسيُبحث في كلماتها التي تنيف على الـ2400، ولن تجد فيها ما ينسبه الكاتب لي. أنا قلتُ إنني قمتُ بأوّل عمليّة مقاومة ضدّ إسرائيل؟ صاحبنا اختلق من عنده رواية، وصدّقها وطلب من القرّاء أن يصدّقوها. كلّ ما قلتُه في هذا الشأن إن رفيقي، أياد نور الدين المدوّر، كان (مع الشهيد «راجي») أوّل شهيد لـ«جبهة المقاومة الشعبيّة لتحرير الجنوب من الاحتلال والفاشيّة» في أيّار/ مايو 1978. وكان ذلك، طبعاً، قبل إطلاق «جمّول» في صيف 1982. كيف استقى بدران من كلامي أنني أتحدّث عن نفسي في هذا الكلام؟ ليس في كلامي إلا إشارة إلى أنه كان رفيقي. هل كان عليّ أن أذكر أنه كان رفيقي كي لا يفهم صاحبكم أنني أنسبُ عمليّة مقاومة لنفسي؟ لا بل إنني انتقدتُ غياب التخطيط في تلك العمليّة، التي أودت بحياة «إيهاب» («راجي»). لا، ووضع بدران اختلاقه للفرية هذه (ما يعطينا فكرة عن مصداقية خبرينا) في سياق سخريته من فكرة أنه كانت هناك مقاومة شعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي قبل إطلاق «جمّول» في أيلول/ سبتمبر 1982.

هذه حقيقة، وإن غابت عن علم القيادي الشيوعي السابق. في عام 1978، ومباشرة بعد غزو لبنان، تقدّم «حزب العمل الاشتراكي العربي ـ لبنان» بمشروع خطة قتاليّة لـ«المجلس السياسي للحركة الوطنيّة». (ودور «حزب العمل» في إطلاق «جمّول» لا يزال مغيّباً مع أن ممثّل «حزب العمل»، حسين حمدان، كان من المؤسّسين). وبدران هنا يذكر فقط الحزب الشيوعي و«جمّول» (وهي بسارية لبنانيّة» ـ أي أنّها لا تستحق الذكر والتنويه)، وكلّف «المجلس السياسي»، يومها، بتكليف من جورج حاوي، «حزب العمل» بإعداد خطة قتاليّة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي للجنوب، ورفض مترتّباته (بما فيها نشر قوّات الـ«يونيفيل» التي لم تأتِ إلا لحماية الاحتلال الإسرائيلي). ودعا «حزب العمل» الحزب الشيوعي و«منظّمة العمل الشيوعي» للانضمام إلى جبهة مقاومة، لكنّه لم يلقَ تجاوباً ونشرَ خطته مع عتبه في مجلة «الثوري» الناطقة باسمه في كانون الأول/ ديسمبر من عام 1978. وذكرت المقدّمة أنّ جورج حاوي كان قد علّق على مداخلة ممثل «حزب العمل» في «المجلس السياسي» للحركة الوطنية، بأنهم «في الحزب الشيوعي اللبناني أمضوا شهرَيْن في الجنوب بستّة ساعات معدودة أحياناً!» ويضيف بدران: «أننا نعرف جيّداً من قام بتلك الاغتيالات والإرهاب والمجازر، بحق رفاقنا وأهلنا وشعبنا، وهم أيضاً، أي من قام بها، يعلمون بأننا نعرفهم، ونحن لن ننسى». لكن، من هم؟ سمّهم لنا، كي نقفل الملف. لماذا لم يفصح بدران عن هويّتهم؟ لماذا لا يقول لنا ويفضل حتى لا يكون هناك مجال للالتباس؟ إذا كان حزب الله هو المسؤول، وإذا كان عند الحزب الشيوعي دليل ـ أعني لديه دليل حقيقي غير همسة غازي كنعان في أذن كريم مروّة ـ فليعلن «جبهة المقاومة الشعبيّة لتحرير الجنوب من الاحتلال والفاشيّة». لكنّ هذه الجبهة لم يسمعْ بها القيادي الشيوعي السابق، لا بل إنها أثارت سخريته. ولم يكن موقف الحزب الشيوعي و«منظّمة العمل» إحجاماً منهما عن القتال (وكان في التنظيمين خيرة من المقاتلين الوطنيّين الشجعان) أو تخلّفاً عن مسؤولية وطنيّة، بل لأنهما كانتا مرتبطتيْن عضويّاً بياسر عرفات، وكانت مشيئة عرفات في تبريد ساحة الجنوب (إلّا في مناسبات تذكيريّة تخدمه ديبلوماسيّاً) هي الطاغية. (وحتى لا أبدو منحازاً هنا ضد الحزب الشيوعي أو «منظّمة العمل»، أعترف بأنّ «حزب العمل» تحوّل في الثمانينيّات، خصوصاً بعد طلاقه مع «الجبهة الشعبيّة»، إلى أداة بيد النظام السوري بعدما كان سبّاقاً في عام 1976، في إطلاق حرب عصابات في البقاع ضد تدخّل الجيش السوري لصالح الانعزاليّين).

تحيد مقدّمة الكاتب عن الموضوع، ويربط فيها تاريخاً طويلاً من النضال (الحقيقي الذي لم أنفِه يوماً) للحزب الشيوعي في مختلف محطات تاريخ لبنان السياسي المعاصر، كأنني ـ ومن أنا ـ أنفي نضالات الحزب الشيوعي، فيما عنوان مقالتي ومضمونها يتحدّثان حصراً عن اغتيال القادة الشيوعيّين، واستغلال هذا الملف من قبل أعداء المقاومة الآن، من يمينيّين وبعض الشيوعيّين (السابقين غالباً). لا بل إنّ الكاتب ذكّرني بأن العدوّ استهدف مقرّ اللجنة المركزيّة في الرميلة. ويذكّرني أنّ العدوّ أعلن عن «ضراوة مواجهة عمليّات جمّول». مرّة أخرى، موضوعي ليس في نفي دور الحزب الشيوعي، لكن في عدم المبالغة في دور الشيوعيّين (وهم رفاقي لي) في عمليّة التحرير لجنوب لبنان، والتي امتدّت لعقدين من الزمن (إذ أنها بدأت في عام 1978، وليس في عام 1982). وصحيح أنّ العدوّ كان مدركاً لدور الأحزاب والتنظيمات المشاركة في مقاومة احتلاله، غير حزب الله. أذكر، مثلاً، عندما قدمتُ إلى أميركا، في عام 1983، أنه كانت هناك حملة كبيرة في الإعلام الأميركي الصهيوني ضدّ «الحزب السوري القومي الاجتماعي»، بسبب دوره الفاعل في مقاومة إسرائيل. لا أعرف لماذا يصرّ الاعتراف من قِبلنا، نحن أهل اليسار، بأدوار لتنظيمات وأحزاب أخرى غيرنا في مقاومة إسرائيل. هل ننفي أدوار المقاومة والدعم من قبل التنظيمات الفلسطينيّة مثلاً؟ وهل ننفي أدواراً لأحزاب يساريّة وغير يساريّة لبنانيّة (مثل الحزب القومي والاتحاد الاشتراكي العربي وحركة «أمل» ثم حزب الله؟) الموضوع لا يتعلّق بحفظ الجميل أو بوضع الرصيد في نصابه، بقدر ما هو معارضة مشروع يميني رجعي حالي معارض لمقاومة إسرائيل، ويحاول أن يستخدم تراث «جمّول» الحقيقي للانتقاص من الدور الأكبر لحزب الله في التحرير.

خلافاً لزعم بدران لم أدعُ إلى المساواة في ذكر المشاركين في تصفية الشيوعيّين. ليس هذا مرادي. حاولتُ أن أنبّه إلى حملة غير بريئة للتقويض على المقاومة الحاليّة (التي تردع إسرائيل منذ عام 2000 والتي أذلّت العدوّ على أرض المعركة في عام 2006، كما لم يُذلّ هذا العدوّ في تاريخه، إن على يد الجيوش العربيّة أو على يد المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة). ثلاثة وثلاثون يوماً من المواجهة في أرض الجنوب، في عام 2006، والعدوّ لم يتقدّم بوصة واحدة، إلا بدعوتا ذلك إلى الاعتراف بأنّ هذه المقاومة تُجسّد تجربة تتفوّق بأشواط كبيرة وجبّارة على تجربة المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة، حين كان توغّل واجتياح العدوّ للجنوب يستغرق ساعات معدودة أحياناً! ويضيف بدران: «أننا نعرف جيّداً من قام بتلك الاغتيالات والإرهاب والمجازر، بحق رفاقنا وأهلنا وشعبنا، وهم أيضاً، أي من قام بها، يعلمون بأننا نعرفهم، ونحن لن ننسى». لكن، من هم؟ سمّهم لنا، كي نقفل الملف. لماذا لم يفصح بدران عن هويّتهم؟ لماذا لا يقول لنا ويفضل حتى لا يكون هناك مجال للالتباس؟ إذا كان حزب الله هو المسؤول، وإذا كان عند الحزب الشيوعي دليل ـ أعني لديه دليل حقيقي غير همسة غازي كنعان في أذن كريم مروّة ـ فليعلن الحزب ذلك على الملأ. لماذا الإضمار والتورية ولغة الألغاز على طريقة ضيوف «الاتجاه المعاكس» عندما يهدّدون: لدينا وثائق خطيرة لكن لم يحِن بعد موعد الإفراج عنها. ماذا ينتظر بدران؟ كان يمكن بدران أن يردّ في سطرَيْن ويعلمنا عن هويّة قتلة القادة الشيوعيّين، لكنّه لم يفعل بل كتب عن مواضيع لا تتعلّق كثيراً بموضوعي.

ثم يعترض بدران على اتّهامي للحزب بالمبالغة في دور «جمّول»، ويستعمل في هذا الصدد لغة صبيانيّة تصلح لنقاشات وصياح مجلس النوّاب الأردني. لن أجاريه في ذلك. ويذكر إلياس عطاالله (ويحاد أن ينفي أنه كان القائد العام لـ«جمّول» عند انطلاقتها ـ وفي هذا التذكير بدور عطاالله قياس واقعي لحجم «جمّول» وفعاليّتها مقارنة بترويج عماد مغنيّة لإسرائيل عبر سنوات طويلة)، ويقول إنّ إلياس عطاالله انضمّ إلى 14 آذار، كما انضمّ إيلي حبيقة إلى محور النظام السوري والحريري. لكن: ما علاقة انضمام قائد شيوعي بمحور يميني رجعي يرعاه النظام السعودي والإدارة الأميركية، بانضمام الانعزالي إيلي حبيقة الذي تربّى في أحضان العدوّ الإسرائيلي إلى قصر رفيق الحريري في سويسرا وإلى محور النظام السوري؟ وهل أنا أمثّل مجرم الحرب إيلي حبيقة، أو رفيق الحريري أو النظام السوري اللذَين رعيا إيلي حبيقة؟ ما شأني أنا بإيلي حبيقة؟ هنا شعرتُ كقارئ بضيق، إذ إن السياق المنطقي في ردّ الكاتب عصيّ على فهمي. ثم يعتبر أنّ انضمام قائد «جمّول» المؤسّس إلى الفريق المعادي لمقاومة إسرائيل، هو حدث عابر تقابله «حالات كثيرة شبيهة». صحيح. هي حالات شبيهة في انضمام شيوعيّين سابقين (معظمهم من «منظمة العمل الشيوعي»، لكن أيضاً من الحزب الشيوعي، مثل سمير ضومط (وهو قيادي شيوعي سابق أصبح عضو مكتب سياسي في... تيّار المستقبل.) لا، لا يمكن طمس هذه الحالات عن انجذاب اليسار نحو اليمين الحريري والخليجي، تحت تعميم عن تحوّلات في المناخ. ثم يورد خروج صبحي الطفيلي من حزب الله. ما علاقة ذلك؟ لا أخفي صعوبة قدرتي على محاججته عندما يشطّ عن الموضوع؟ كنا نتحدّث عن «جمّول» ودورها، وبتنا نتحدّث عن الطفيلي وحبيقة، كأنهما مرتبطان بظاهرة تحوّل اليسار الشيوعي نحو اليمين الرجعي المعادي لمقاومة إسرائيل.

شيجو فوكودا ـ اليابان

> تستطيع ان تدرك حجم وتأثير مقاومة إسرائيل الحالية وفق معايير مختلفة، لكن يبقى أهمّها حالة الردع الحالية التي فرضتها المقاومة على إسرائيل

وينتقل بدران إلى حسم الموضوع عن دور «جمّول»، ليقول إنّ العدو انسحب (الغاية الشريط المحتل في الجنوب» (أي 80% من الأراضي التي احتلّها عام 1982، وفق حسابه) «بسبب ضربات المقاومة الوطنيّة اللبنانيّة». وهو يعني انسحاب العدوّ الجزئي في عام 1985. لكن هل فاتَ عن ذهن بدران المغالطة الكبرى في هذه الحجّة عن دور «جمّول»؟ هل افترض أنّ «جمّول» وحدها كانت تقاتل العدوّ في الجنوب من عام 1982 حتى عام 1985؟ لم يكن هناك غير «جمّول»؟ وماذا عن دور المنظّمات الإسلاميّة السريّة (وبعضها انضوى في صفوف حزب الله عند تشكّله في تلك السنة)؟ ألم يكن سبب صعود تنظيمات إسلاميّة قتاليّة (مثل «أمل الإسلاميّة» أو «الجهاد الإسلامي») هو رفض الاجتياح الإسرائيلي وزمن بشير الجميّل ومحاربته؟ هل يحتاج بدران إلى التذكير بالعمليّات الكبرى (كبرى ليس فقط بمقياس العمليّات ضد إسرائيل في ومن لبنان، بل بمقياس الصراع العربي ـ الإسرائيلي برمّته). إنّ عمليّة أحمد قصير جرت في تشرين الثاني/ نوفمبر 1982 ضدّ مقرّ الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور: هل سينسبها بدران إلى «جمّول» أيضاً، بعدما زعمَ أنّ انسحاب إسرائيل الجزئي في عام 1985 كان حصراً نتيجة لعمليّات «جمّول»؟ يكاد بدران أن يطلع برواية مفادها أنّ المقاومة الإسلاميّة كانت نائمة، ولم تنهض إلا بعدما قام حزب الله بمنح «جمّول» من إكمال مهمّتها في أواخر الثمانينيات. وهذا مزعم سمعتُه من قبل، لكنّه يصطدم بوقائع عمليّات كبرى قامت بها المقاومة الإسلاميّة. المحصّلة النهائيّة لعمليّة أحمد قصير كانت 74 قتيلاً و27 مفقوداً، بحسب اعتراف العدوّ (راجع حسن السبع، «1980 ـ 2000: قراءة في أبرز محطات المقاومة، من الرصاصة الأولى... إلى مزارع شبعا»، «السفير»، 24 أيّار/ مايو، 2001). وبعد عام على عمليّة أحمد قصير، تمّ تفجير مقرّ الاستخبارات الإسرائيليّة في صور، واعترف العدوّ بمقتل 29 من جنوده. وأعلنت «منظّمة الجهاد الإسلامي» المسؤوليّة عن العمليّة، وهي لم تكن من ضمن فصائل «جمّول». والمنظّمة هي عينها التي أعلنت المسؤوليّة عن تفجير السفارة الأميركيّة، في نيسان/ أبريل 1983، وعن مقرّيْ قيادة المارينز وفرقة المظليّين الفرنسيّين في تشرين الأول/ أكتوبر 1983. وفي عام 1984، تصدّى نزيه القبرصلي لدوريّة إسرائيليّة وقتل جنديّاً وجرح ثلاثة آخرين، وأذكره لأنّ مساهمة «قوات الفجر» لـ«الجماعة الإسلامية»، قلّما ترِدُ في التعداد. وفي عمليّة بلال فحص (من حركة «أمل»)، أصيب 11 جنديّاً بجروح في عام 1984. كلّ هذه العمليّات وغيرها جرت قبل الانسحاب الجزئي للعدوّ، وعليه لا يمكن أن ننسب الفضل في فرض الانسحاب على العدوّ، فقط إلى «جمّول».

هناك جانب لا بدّ أن نتطرّق إليه حول مصداقية بعض قياديّي الحزب الشيوعي اللبناني. كيف نوفّق بين شهادات مختلفة ومتناقضة لهم عبر السنوات؟ كيف نوفّق بين علاقات وديّة وتحالفيّة بين الحزب وبين حزب الله، في الوقت الذي يطلع علينا اليوم بعض الشيوعيّين بتصوير الاتهام في مقتل القادة الشيوعيّين نحو حزب الله حصراً؟ خذ مثلاً شهادات كريم مروّة المتقلّبة عبر السنوات والعقود في هذا الموضوع. في الثمانينيّات، اعتبر كريم مروّة (وهو قيادي بارز جداً في الحزب الشيوعي في مختلف مراحله الستالينيّة)، أنّ «العمليّات الاستشهاديّة... ذروة العطاء وذروة التضحية» (راجع كريم مروة، «المقاومة: أفكار للنقاش على الجذور والتجربة والآفاق»، ص. 45). لكن مرّوة نفسه، بعدما «تحوّل» نحو خط التجمّع اليميني الرجعي المعروف بـ14 آذار (والمعادي لكلّ أشكال مقاومة إسرائيل من دون استثناء)، يعتبرُ اليوم (في مقالة في جريدة «النهار» في 22 تموز/ يوليو 2007 ـ وجريدة «النهار» نطقت باسم اتفاقية 17 أيّار/ مايو، وعارضت المقاومات ضد إسرائيل بكل أشكالها وهويّاتها)، أنّ العمليّات الاستشهاديّة تدخّل في «ثقافة الموت» (راجع نقد البير فرحات في «الأساطير المؤسّسة للنظام اللبناني»، ص. 60). أي كريم مروّة نعتمد؟ أي رأي له؟ ثم نعود إلى موضوع النظام السوري مثلاً. من المعروف أنّ «منظّمة العمل الشيوعي» والحزب الشيوعي اللبناني افترقا بعد رحيل منظمة التحرير عن لبنان. فقد حافظ محسن إبراهيم على ولائه لياسر عرفات، فيما قرّرَ جورج حاوي الاستمرار في التحالف مع النظام السوري، وحاربت قوّات الحزب جنباً إلى جنب مع جيش النظام في طرابلس. وفيما كان إبراهيم مغيّباً عن الساحة اللبنانيّة (باستثناء مرحلة إلياس الهراوي، حيث لعب دور الوساطة بين النظام اللبناني ومنظمة التحرير)، كان جورج حاوي يعقد الولائم لقادة القوّات السوريّة في لبنان في التسعينيّات. وكريم مروّة (وعدد من الشيوعيّين السابقين اليوم) يزعمون أنّ سبب توقّف عمليّات الشيوعيّين ضد الاحتلال الإسرائيلي، كانت بسبب منع النظام السوري للحزب من ممارسة المقاومة. زكّي طه (القيادي الحالي في منظمة العمل الشيوعي) يكرّر هذا الاتّهام (في موقع «بيروت أبرَفر» في «منظمة العمل الشيوعي ودورها في جمّول»، 2 تشرين الأول/ أكتوبر 2019). لكنّ كريم مروة يقول في هذا ما يلي في عام 1985: «غير أنّ هذا الدور السوري الذي ظلّ يتطوّر في هذا الاتجاه، قد وصل إلى المرحلة التي أصبحت فيها سوريا تشكّل مركزاً أساسياً لدعم المقاومة الوطنيّة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وفي احتضانها وفي رفدها بما يجعلها تستمر وتتطور. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى الموقف الذي اتّخذه، في هذا الموضوع بالذات، الرئيس حافظ الأسد شخصيّاً» (ص. 113، من كتاب «المقاومة» المذكور أعلاه). أيّ صيغة من السرديّة الشيوعيّة نصدّق؟ هل نصدّق «منظمة العمل» اليوم، أم الحزب الشيوعي أمس؟ كريم مروّة اليوم؟ أم كريم مروّة أمس؟ تستطيع أن تدرك حجم وتأثير مقاومة إسرائيل الحالية وفق معايير مختلفة، لكن يبقى أهمّها حالة الردع الحالية التي فرضتها المقاومة على إسرائيل. إنّ الردع هو ذروة المقاومة: هي أن تمنع العدوّ من الاعتداء عليك من دون أن تطلق رصاصة. وهذا الردع فشل في تحقيقه الجيش اللبناني، ثم المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة في ما بعد. ونموّ المقاومة ضد إسرائيل يتّضح من أرقامها: ففي عام 1989، خسر العدو 3 جنود في لبنان، في عام 1990، خسر 7 جنود، لكن في عام 1996، خسر 26 جنديّاً ثم خسر 39 جنديّاً في عام 1997 وحدها (راجع، أمين مصطفى، «المقاومة في لبنان: 1948 ـ 2000، ص. 587). هذه تجربة فريدة في مقاومة إسرائيل، وهي المهمة المقاومة في غزة بعد فشل تجربة ياسر عرفات في المقاومة. ولا ينفع نكران الحقيقة من باب الانحياز الأيديولوجي الذي اتشارك مع الشيوعيّين فيه. لكن أن يصل الأمر بدران إلى أن يقول إنّ انسحاب العدوّ كان بسبب عمليّة سهى بشارة (البطوليّة، من دون شكّ)، فإنّه بذلك يعطي صورة مغالطة عن العدو: العدوّ ينسحب ذليلاً من لبنان حرّنا واسى على أنطوان لحد وللحفاظ على حياة عملائه الذين تركهم وراءه بعد فراره؟

ثم يغوص بدران في مواضيع سياسيّة لم أكن أريد الدخول فيها، مثل «اتفاق الطائف» (الذي أنبذه وأدينه) أو موضوع الحوار مع «الكتائب». ليذكّرني أنّ الحرب الأهليّة انتهت مع «الطائف». إذا كان القيادي الشيوعي السابق ملزماً بـ«الطائف»، فلماذا يفترض أنني أنا ملزم به، كأنّ نواب مجلس 1972 يمثّلونني، أو أنهم يجب أن يمثّلوا ذوي الاتجاهات اليسارية. ثم يختم بالفصل أن غرض مقالتي هو استهداف دور الحزب في انتفاضة 17 تشرين. لماذا؟ وما علاقة ذلك بمقالي؟ لماذا لا يقبل أنّ مقصد مقالتي هو بحث التحقيق في اغتيال القادة الشيوعيّين والمسؤوليّة عنه؟ ويدعو بدران إلى نبذ الطائفيّة البغيضة («المُنتجة لكلّ أصناف الفساد»، لكن هل كان الفساد المستشري في قيادة منظمة التحرير والحركة الوطنيّة، هو أيضاً منتوج الطائفيّة البغيضة؟

إنّ عمل المقاومة اللبنانيّة ضد إسرائيل، كان عملاً تراكمياً وشاركت فيه قوى لبنانيّة وفلسطينيّة مختلفة ومتنوّعة. وكان لـ«جمّول» دورٌ طليعي بالتوازي مع دور هائل لتنظيمات إسلاميّة سريّة لم تعلن عن وجودها، إلا بعد سنوات. يجب أن نكتب تاريخ مقاومة لبنان لإسرائيل، لكن يجب أن يكون التاريخ خالياً من الهوى السياسي أو الأيديولوجي، خصوصاً أن قوى رجعيّة (لا أعني بدران طبعاً) تقوم بالمبالغة في وصف دور «جمّول» من أجل محاربة المقاومة الحاليّة ضد إسرائيل.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

فقط «الموقّت السلبي» يدوم!

سعد الله مزرعاني *

نجم الأسبوع المنصرم كان، ولا ريب، قانون «قيصر» الصادر عن الكونغرس الأميركي، والذي بدأ تطبيقه ضمن تصعيد عقوبات أميركية ضد سوريا، يوم الأربعاء الماضي. وقعُ ذلك أيضاً بالنسبة إلى لبنان، في سياق تصعيد أميركي متواصل لتطويق حزب الله، وإسباغ صفة «الإرهاب» عليه، ومحاولة فرض مواقف مماثلة من الحزب، على حلفاء واشنطن الغربيين، أثمر، حتى الآن، في لندن وبرلين وأمستردام...

واشنطن، التي أعلنت مع تل أبيب، مشروع «صفقة القرن» لتصفية كل حقوق شعب فلسطين، تخوض مستلزمات إنجاح هذا المشروع، في حلقته اللبنانية أيضاً، بكثير من المثابرة والعناية والدقة. الأزمة الاقتصادية هي الموضوع الذي اختارته أداةً للعبور منها إلى تحقيق هدفها المشترك مع تل أبيب. استلزم ذلك أن ترعى الإدارة الأميركية عملية دفع هذه الأزمة إلى أقصى درجات التأزّم، عبر الإمساك بمفاتيح رئيسية في المنظومة النقدية والمالية، وعبر تشجيع الفساد والنهب، وعبر حجب كل أنواع المساعدات عن لبنان (من بينها ما كان يأتي من دول الخليج الواقعة تحت الوصاية الأميركية)... ترافق ذلك مع سلسلة عقوبات ضد مصارف وأشخاص وكيانات، وصولاً إلى ما هو معوَّل عليه في «قيصر» من خنق لبنان، عبر فصله عن رئته الطبيعية سورياً، وإثارة قطيعة وصراع بينهما، واعتبار العلاقة مع دمشق سبباً كافياً لتجويع اللبنانيين من دون رحمة أو مبرّر موضوعي!

ترافق ذلك مع حملة شرسة سياسية وإعلامية، لتصوير أنّ سوريا و«حزب الله» هما سبب الأزمة، وأنّ حلّها لن يكون بغير نزع سلاح هذا الحزب، وبغير مشاركة لبنان الرسمي والشعبي في حصار سوريا حتى... الاختناق والإذعان! ينبغي الاعتراف بأن الحملة الأميركية قد وجدت لها صدىً كبيراً في أوساط سياسية وشعبية. وهي جنّدت قوى حليفة تقليدياً لواشنطن، فضلاً عن منابر إعلامية، لترويج ادعاءاتها وتبني أهدافها حتى لو كان بعضها تكراراً فجاً ووقحاً لمطالب إسرائيلية مباشرة. طبعاً، الشارع ميدان رئيسي للصراع وللتأثير. لذلك بكّرت واشنطن وحلفاؤها في حجز مكان في «انتفاضة 17 تشرين الأول»، حيث كان اختبار 6/6 الجاري محطة أساسية فيه، وإن لم يأتِ على قدر التوقعات، إلّا أنه لن يكون الأخير، بالتأكيد، عبر اختبارات لاحقة (ربما أكثر عنفاً وتصعيداً).

في امتداد ذلك، ينبغي ملاحظة أنّ القوة الأساسية المستهدفة، لا تملك منظومة اقتصادية مدعمة لمنظومتها العسكرية. إلّا ما هو متاح عبر تحالفاتها الثابتة، خصوصاً، داخل السلطة. والحال أنّ هؤلاء الحلفاء، شركاء أساسيون في منظومة المحاصصة، وما يترتّب عليها وبسببها من هدر ونهب وفساد. فإنّ الوضع يصبح أصعب في مواجهة تداعيات كورانية، قد تصيب بخطر الجوع الأكثرية الساحقة من اللبنانيين. معروف أنّ «المقاومة» في صيغتها الراهنة، تفتقر إلى تصوّر جذري بشأن معالجة أزمات لبنان الاقتصادية. وهي، ربما أيضاً، قد اطمأنّت إلى ما توفّر في وضع لبنان السابق من عوامل يمكن استثمارها. كان ذلك سبباً إضافياً لاعتماد المقاومة خطة الانسجام مع النظام السياسي والاقتصادي القائم، بل والسعي باستمرار للمحافظة عليه خصوصاً عبر قوانين الانتخاب، وعبر إدارة الظهر للإصلاحات الدستورية التي أقرّت في «الطائف» عام 1989. في الأزمة، مارست المقاومة مثل غيرها، رغم الهواجس والقلق، سياسة شراء الوقت والتأجيل. أدركت واشنطن كلّ ذلك، وانخرطت في خطة ضاغطة وفاجرة لإفلاس البلد وتخيير اللبنانيين بين المقاومة والجوع. الصهاينة بدورهم الذين يلاحظون بفرح غامر تدهور الوضع العربي وغرق عدد مهم من بلدانه في حروب أهلية مدمّرة، يحاولون في هذه المرحلة جني أكبر قدر ممكن من المكاسب: الجغرافية والسياسية والأمنية... وهم قد اختبروا الفائدة العظيمة التي جنوها من الصراعات في المنطقة: أولاً بتراجع الصراع العربي الإسرائيلي إلى مرتبة ثالثة أو رابعة، حتى بالنسبة إلى قوى ما زالت تعارض المشروع الصهيوني والهيمنة الأميركية، وفُرضت عليها أولويات أخرى. الطابع المذهبي الذي يطفو بقوة على السطح في مشهد الصراع الإقليمي، جرى استثماره إلى الحد الأقصى في تسريع عملية التطبيع مع العدو الصهيوني، خصوصاً من قبل عدد من دول الخليج التي تسعى إلى إقامة تحالف مكشوف معه بذريعة مواجهة «المشروع الفارسي». لا يخفى أنّ واشنطن تدفع باتجاه تعطيل دور المقاومة عبر إغراقها في الأزمات والفوضى وانعدام الأمن وتفشّي خطر المجاعة، وصولاً إلى تشجيع صراع أهلي عنيف مفتوح على الانقسامات التقليدية والعصبيات الموروثة، وإلى طرح مشاريع الفدرلة وحتى التقسيم... وهي بذلك تحقق مطلباً صهيونياً إضافياً في تجنّب صراع عسكري مع المقاومة، لن تخرج منه إسرائيل بدون خسائر فادحة. بل قد تخرج مهزومة على غرار ما حصل في عام 2006.

لن تدوم الاستثناءات إلى الأبد. ثم إنّ دوام الاستثناءات في لبنان، كان علامة سلبية وأحياناً مدمرة كما حصل بالنسبة إلى الطائفية وتكريسها وتعميمها خلافاً للنصوص التي شددت، منذ التأسيس إلى اليوم، على طابعها المؤقت خصوصاً في دستور «الطائف» الذي تواطأ الجميع على تعطيل إصلاحاته في موضوع إلغاء الطائفية السياسية تحديداً. لا أقلّ من إعادة تأسيس يحتاج لها لبنان. جوهر ذلك تحرير نظامه من المحاصصة الطائفية والمذهبية وإقامة دولة مدنية أساسها المواطنة المتساوية بعيداً عن التمييز والامتيازات. المقاومة في المرحلة الجديدة، مشروع تحرّري متكامل في شقّيه الوطني والاجتماعي. هذا ينطبق على الدول، كما على التنظيمات، في النطاق العربي والشرق أوسطي الواسع. لن يحصل ذلك بدون مراجعة نقود إلى خلاصات جوهرية بشأن التجارب السابقة في نجاحاتها وإخفاقاتها.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

ثلاث سنوات على تولّي محمد بن سلمان ولاية العهد في السعودية في 21 حزيران/يونيو 2017. ثلاث سنوات كانت كفيلة بكشف هشاشة الأسس التي بُنيت عليها طموحات الأمير الشاب. في عام 2020، الذي يُعدّ مفصلياً في مسار «رؤية 2030»، يميل كثيرون إلى القول إن «الرؤية» اضحت في حكم الميتة، علماً بأنها، منذ إبصارها النور، بدت فاقدة لعناصر الحياة. لكن «مفاجأة كورونا» وحماقة حرب اسعار النفط بيّنتا بما لم يفعل أيّ ظرف آخر، حقيقة الطابع الخيالي لخطط ابن سلمان. قبيل عقد على الموعد المحدّد لولادة «السعودية الجديدة»، لا تزال الارقام على حالها إن لم تكن اسوأ (البطالة، عجز الموازنة، الثروة السيادية...)، فيما خطط تنويع الاقتصاد وجذب الاستثمارات الاجنبية تنتقل من حائط مسدود إلى اخر. يحدث كلّ ذلك فيما لا يزال ولي العهد مسكوناً بهاجس الانقلاب عليه من الداخل، ومحاضراً بمعازف يمني اضحى الفكاك منه اكثر صعوبة واكبر كلفة

ثلاث سنوات على ولاية العهد
ابن سلمان يراكم الخيبات

من اكثر المفارقات التي تبيّن هالك رؤية ابن سلمان هو تزامن الموعد المفترض لانطلاق «برنامج تعزيز الشخصية الوطنية» (برنامج الشخصية الوطنية مع ركود اقتصادي حاد (عن الويب)

لا «مستقبل جديد»؟

إذا كانت «رؤية 2030 قد انتهت تقريباً»، فإن مشروع «مدينة المستقبل» (نيوم)، الذي قُدّرت تكلفته بـ500 مليار دولار، يكاد يمثّل علامة خطّ النهاية تلك. باستثناء بناء عدد من القصور الملكية ومهابط الطائرات المروحية على ساحل البحر الأحمر، لا تزال مدن «نيوم» الاثنتا عشرة حبيسة الأوراق، بما فيها مدينة «ريفييرا» التي أريد لها أن تكون باكورة «المستقبل الجديد» بالانتهاء، منها في عام 2020. وليس قاطنو 4000 وحدة سكنية في ثماني قرى كان مُقدّراً أن تكسحهم «نيوم» هم العائق الأكبر أمام قيامها، وإن مثّل مقتل أحدهم (عبد الرحمن الحويطي) في نيسان/أبريل الماضي جرّاء رفضه إخلاء منزله مؤشراً إلى صعوبة تجريفهم. إلا أن أخطر أزمة اقتصادية ومالية تواجهها المملكة منذ عقود (والوصف لوزير ماليّتها محمد الجدعان) تجعلها مرغمة على تعليق مشاريعها الأسطورية، وعلى رأسها «نيوم»، علماً بأن هذه الأخيرة بدت، منذ الإعلان عنها، أقرب إلى مُنتجات الخيال العلمي. مردّ ذلك إلى تطلّبها استثمارات ضخمة لا تَظهر البيئة السعودية من النواحي كافة جاذبة لها (وخصوصاً لناحيتَي الحريات واقتصاد المعرفة)، وهو الأمر نفسه الذي يعيق مجمل الاستثمارات الأجنبية التي تمثّل عماداً رئيساً من أعمدة «رؤية 2030».

دعاء سويدان

«إذا حقّقنا 100%، هذا رائع... وإذا حقّقنا 50% رائع أيضاً! أفضل من عدم تحقيق أيّ شيء. لذلك، لا توجد مشكلة في رفع سقف طموحاتنا». ربّما كان محمد بن سلمان مفرطاً في التفاؤل في مقابلته تلك مع وكالة «بلومبرغ» أواخر عام 2018. بعد مرور ثلاث سنوات على تولّيه ولاية العهد، تبدو «طموحاته» أبعد ما تكون عن التحقّق، في ظلّ الإخفاقات المتتالية التي وقعت فيها خططه، وصولاً إلى الأثر الكارثي الذي خلّفه عليها وباء «كورونا» وحرب أسعار النفط. إخفاقٌ يضاف إليه انعدام الاستقرار في البيئة الداخلية للحكم الجديد، وفشله في حسم أيّ من المعارك التي خاضها ولا يزال تباعاً. في الشقّ الاقتصادي، يظهر حجر الرحى في «رؤية 2030»، والمتمثل في «صندوق الاستثمارات العامة»، عاجزاً عن الدوران لصالح بلوغ أهداف «الرؤية». كان من المفترض أن يبلغ حجم الصندوق في هذا العام ما بين 600 و700 مليار دولار على طريق بلوغه في عام 2030 أكثر من تريليوني دولار، لكن تعثّر العديد من الاستثمارات الخارجية التي انخرط فيها، وتباطؤ الصفقات التي خُطّط لاستحواذه على عائداتها، أبقيا قيمته ما بين 300 و400 مليار دولار.

ولعلّ أحد أبرز النماذج من ذلك التعثّر هو ما آل إليه استثماره بنحو 35 مليار دولار في صندوق «رؤية - سوفت بنك»، إذ تكبّد الصندوق الياباني خسائر سنوية (خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام الحالي) بقيمة 18 مليار دولار. وهي خسائر بدأت في أواخر عام 2019، وتضاعفت مع تفشّي وباء «كورونا». المفارقة أن تداعيات الوباء، الذي ولّد انكماشاً اقتصادياً عالمياً، لم تمنع السعودية من الاستثمار بمبالغ إضافية (قرابة 9,8 مليارات دولار) في شركات منكوبة، الأمر الذي لا تبدو عوائده مضمونة على الإطلاق، وفق ما يرى خبراء اقتصاديون.

خصخصة «درّة التاج» متعثرة

الضربة الثانية التي تلقّاها «صندوق الاستثمارات العامة» تمثّلت في تعرقل مشروع خصخصة «أرامكو». بعد تأجيل عملية الطرح العام الأوّلي غير مرّة، أملاً في بلوغ أسعار النفط محيط 80 دولاراً للبرميل بما يرفع قيمة الشركة إلى تريليوني دولار، عمدت المملكة في أواخر عام 2019 إلى طرح 1,5% فقط من أسهم «أرامكو» (بدلاً من 5%) في البورصة المحلّية، وهو ما عاد عليها بحوالى 25 مليار دولار. وإذ لا يزال مصير تلك العوائد مجهولاً (كان يفترض بحسب الخطة توجيهها إلى صندوق الاستثمارات العامة) وخصوصاً أن السعودية أعلنت - ضمن إجراءاتها التقشفية الأخيرة - خفض اعتمادات «رؤية 2030» بـ26,6 مليار دولار، يبدو أن لا استكمال وشيكاً لعملية الطرح (إن لم تكن قد جُمّدت أصلاً) بعد التدهور الأخير في أسعار النفط، والذي هبط بسهم «أرامكو» في شهر آذار/ مارس الماضي إلى حدود 30 ريالاً سعودياً. هذا الهبوط لم تسلم منه أيضاً شركة «سابك» للبتروكيماويات، والتي انخفضت قيمتها هي الأخرى بأكثر من 40%. لكن ذلك لم يمنع «أرامكو» من الإقدام، قبل أيام، على إتمام صفقة شراء 70% منها، بسعر يفوق بحوالى 20 مليار دولار قيمتها الحالية في السوق (69 مليار دولار)، مع مدّ جدول التسديد ثلاث سنوات.

خطوةٌ تعكس استمرار مراهنة السعودية على عودة أسعار النفط إلى أيّامها الذهبية، وهو ما لا يبدو وارداً لدى الخبراء، الذين يعتقدون أيضاً أن خسارة المملكة محتومة في أيّ حرب أسعار مقبلة.

تفسخ العقد الاجتماعي

قد يكون من أكثر المفارقات التي تبيّن مال رؤية ابن سلمان هو تزامن الموعد المفترض لانطلاق «برنامج تعزيز الشخصية الوطنية» (أحد برامج الرؤية) في عام 2020، مع ركود اقتصادي حادّ شكّل القطاع الخاص أوّل وأكبر ضحاياه. ومع إجراءات تقشفية صارمة دفعت بتطوير الاقتصاد إلى أسفل سلّم الأولويات، يمثّل البرنامج المذكور خطّة هندسة اجتماعية جديدة تستهدف تعزيز «روح المبادرة وحبّ العمل»، والتحفيز إلى «النجاح والتفاؤل».

أهدافٌ يقاس مدى تحقّقها، بحسب الشروحات السعودية للبرنامج، بعدة مؤشرات لعلّ أبرزها اثنان: توفير الوظائف في القطاع الخاص وتنويع الإيرادات. وهما مؤشّران أساسيان ما فتئت السعودية تسجّل أسوأ أرقامها فيهما، إذ إن 70% من ميزانيتها لا يزال معتمداً على النفط، الذي يُتوقع أن يتسبّب انهيار أسعاره بارتفاع عجز موازنة العام الجاري، فيما ستُستخدم الأصول الاحتياطية (سُحب منها 51 مليار دولار خلال الربع الأول من سنة 2020) والسندات لتمويل الاحتياجات الأساسية للمواطنين بدلاً من المضيّ في ما سُمّيت «الإصلاحات» الاقتصادية.

هكذا، تعود أسس العقد الاجتماعي في السعودية (الرفاهية مقابل الولاء) إلى الظهور مجدّداً، بعدما حاول الحكم السلماني النأي بالمملكة عنها بالترويج لصيغة قومية عمادها الاعتزاز بالهوية الوطنية والاستعداد للانخراط في العمل من أجلها. بيد أنه، عملياً، لم يستطع ابن سلمان إلا إشاعة نوع من «الشوفينية» بالاستفادة من حروبه الخارجية، فيما ظلّ تحقيق متطلّبات «النيوليبرالية السعودية» عسير التحقق، وما فشل مشروع «السعودة» (الذي أتى بمفعول عكسي تمثّل في ركود الاقتصاد بفعل طرد العمالة الأجنبية) إلا خير دليل على ذلك. مكمن الخطورة في ما تقدّم هو بروز مهدّدات حقيقية للعقد الاجتماعي القديم من دون وجود بدائل، الأمر الذي قد ينذر بحدوث اضطرابات اجتماعية (يأتي على رأس تلك المهدّدات، التقشّف، الذي بدأته المملكة عام 2018، وضاعفته أخيراً برفع ضريبة القيمة المضافة ثلاثة أضعاف وإلغاء بدل غلاء المعيشة، واستكملته برفع أسعار البنزين).

لا أمان ولا استقرار

وصول مشاريع ولي العهد الاقتصادية إلى حائط مسدود يوازيه تضعضع في البنيان الذي أسّس له الملك، وأراد من خلاله تعبيد الطريق أمام نجله لبلوغ سدّة العرش. صحيح أن ابن سلمان تمكّن من خلال واقعة «الريتز كارلتون» من محاصرة أخصامه ومنافسيه، إلا أن عودته في آذار/ مارس الماضي إلى الزجّ باثنين من كبار الأمراء في السجن، هما أحمد بن عبد العزيز ومحمد بن نايف، أظهرت القلق الذي يعتريه من أن يستطيع هؤلاء تشكيل جبهة وازنة مضادّة له، وخصوصاً أن للأوّل نفوذاً داخل «هيئة البيعة»، وأن للثاني إرثاً في وزارة الداخلية. وهو إرثٌ يبدو واضحاً أنه لا يزال يؤرّق ابن سلمان، وما مساعيه الحثيثة الحالية إلى استعادة اللواء السابق سعد الجبري، بأيّ ثمن، إلا صورة من ذلك الأرق، إذ آمر ولي العهد، أخيراً، باعتقال نجلَي الجبري وشقيقه في محاولة للضغط على الرجل من أجل العودة إلى المملكة من كندا التي يقيم فيها منذ عام 2017. ويقول السفير الأميركي السابق في اليمن، جيرالد فيرستين، في هذا الصدد، إن الجبري «تولّى الكثير من الملفات الحساسة خلال عمله في الأمن السعودي لعقود، وهو يمتلك كمّاً كبيراً من المعلومات، حتى أنه يعرف أماكن دفن الجثث في المملكة». ومن هنا، يُفهم مكمن خشية ابن سلمان الذي كان أوّل ما استهدف في معركته ضدّ ابن عمّه، محمد بن نايف، أذرع الأخير في وزارة الداخلية، وفي مقدّمهم الجبري الذي أطيح به باكراً بعد صراع مع اللواء عبد العزيز الهويريني، رجل ابن سلمان في الوزارة، والذي سرعان ما أصبح رئيساً لجهاز أمن الدولة بأمر ملكي صدر عام 2017.

> رغم انكماش الاقتصاد العالمي، لا تزال السعودية تضع أموالها في شركات منكوبة

توضّح قضية الجبري، مرّة أخرى، أنه على رغم التغييرات الجذرية التي أحدثها آل سلمان في هيكل السلطة، فإن المفاجآت لا تزال واردة، وهو ما يجعل صورة المستقبل ضبابية إلى حدّ كبير. أمّا ما يمكن أن يحدث فارقاً في المشهد فهو «متغيّر استثنائي يعيد رسم المسار السياسي للبلاد، ويفتح آفاقاً جديدة لعمليات تحوّل واسعة النطاق، تعيد تصويب خطّ سير الدولة، وتؤسس لمرحلة استقرار، ولكن وفق شروط أخرى»، بحسب ما يراه الباحث فؤاد إبراهيم في كتابه «مستقبل السعودية».

المعازف اليمني

«لدينا مشكلة اسمها اليمن». قالها محمد بن نايف يوماً ما، بحسب ما كشفته وثيقة للسفارة الأميركية في الرياض سرّبها موقع «ويكيليكس» في كانون الأول/ ديسمبر 2010. كان ابن نايف يشير بقوله المتقدّم إلى احتمال اتخاذ «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» من الأراضي اليمنية منطلقاً لتنفيذ هجمات ضدّ السعودية. بعد مرور قرابة عقد على كلام ولي العهد السابق، تجاوز اليمن كونه «مشكلة» ليُضحي «مازقاً» للمملكة، وذلك بفضل ولي العهد الحالي الذي رفض الاستجابة لجهود ابن عمّه المبكرة في تجنيب السعودية مستنقعاً بدا الانغماس فيه محتوماً، بدءاً من مفاوضات «ظهران الجنوب» والاتفاق الذي نتج منها في آذار/ مارس 2016، وصولاً إلى مفاوضات الكويت في العام نفسه والتي استمرّت لأشهر بلا نتيجة.

اليوم، تعيش السعودية أسوأ مراحل حربها على اليمن؛ فلا هي قادرة على حسمها لصالحها (وهذا ما بات خارج النقاش أصلاً منذ زمن)، ولا هي مستعدة للمضي في مشروع حل سيُظهرها مهزومة أيّاً كانت درجة لياقته بماء وجهها. تذبذبٌ هو ما يفسّر تعثّر الاتصالات السياسية التي بدأتها الرياض مع حركة «أنصار الله» منذ أواخر العام الماضي عبر قنوات عدّة، والتي أوحت بأن التسوية السياسية باتت ممكنة وقريبة ربما. لكن سعي المملكة، بدفع أميركي، إلى التحايل على قيادة صنعاء بهدنة هشّة، تتيح للسعوديين الخروج من مازقهم وتبقي في الوقت نفسه سوط الحرب مسلّطاً على اليمن وحلفائه الإقليميين، حال إلى الآن دون الوصول إلى أيّ تفاهمات.

تدرك الرياض أنه كلّما طال أمد ورطتها في اليمن أصبح الفكاك منها أكثر صعوبة وأكبر كلفة، إذ إن المواقع التي كانت متبقّية لحلفائها في الشرق، والتي كان يمكن المفاوضة بها، تهاوت أمام الجيش واللجان الشعبية، حتى وصلت الموسى إلى مدينة مأرب، المعقل الأخير للقوى الموالية لها هناك. أمّا في الجنوب، فلا تكاد السعودية تطفئ نيران معركة حتى تشتعل أخرى بوجهها، فيما الاتفاق الذي رعته بين وكلائها من جهة ووكلاء أبو ظبي من جهة أخرى لا يزال مستعصياً على التنفيذ، كاشفاً عجزها عن إدارة تناقضات جبهتها، فكيف بتوحيدها للمساومة بها وجني مكاسب من ورائها؟

اليمن

صنعاء تحبط تمرّد البيضاء

أفادت مصادر بأن العواضي تنكّر أثناء فراره من البيضاء إلى مأرب التي قيل إنه وصلها ليلاً (أ ف ب)

لقمان عبد الله

قضى الجيش اليمني واللجان الشعبية على التمرّد الذي قاده الأمين العام المساعد لحزب «المؤتمر الشعبي العام» ياسر العواضي، أمس، في مديرية ردمان في محافظة البيضاء، في عملية لم تستغرق سوى بضع ساعات. وقد شاركت طائرات التحالف الذي تقوده السعودية بكثافة في العمليات العسكرية التي قادها العواضي، في محاولة لقطع الإمدادات عن قوات صنعاء، التي تحرّكت باتجاه المحافظة للقضاء على التمرّد.

بحسب مصادر مطّلعة في صنعاء، فإن التمرّد هدف إلى إشغال الجيش عن جبهته الرئيسية في مدينة مأرب التي باتت بحكم الساقطة عسكرياً. استغلّ العواضي حادثة مقتل امرأة، تدعى جهاد الأصبحي، في مديرية الطفة بمحافظة البيضاء، على يد القوى الأمنية التابعة لحكومة الإنقاذ في صنعاء، أواخر نيسان/أبريل الماضي، دعا على إثرها القبائل إلى ما يسمّى «النفك» (أي الدعوة إلى الحرب).

في التفاصيل، فإن عناصر تنظيم «القاعدة» نفّذوا كميناً لعدد من أبناء البيضاء المنتسبين إلى الجيش واللجان الشعبية ما أدّى إلى سقوط ستة شهداء. وقد حصلت الأجهزة الأمنية على معلومات مفادها أن العناصر المتورّطين في هذا الكمين متواجدون في بيت والد زوج المرأة المقتولة وعمّها المدعو حسين محمد الأصبحي، مع العلم أن العديد من أقرباء الضحية ضباط في قوات الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، ويخدمون في محور البيضاء. وتبيّن أن خال المرأة عنصر في «القاعدة»، وكان ضمن المجموعة التي نفّذت الكمين والتجأ مع مجموعته إلى المنزل المذكور. وبناءً على المعلومات، تحرّكت مجموعة من الأطقم الأمنية لاعتقال العناصر المتورّطين في الكمين، وبمجرّد وصول قوات الأمن تم إطلاق النار على أفرادها مباشرة، ما أدى إلى سقوط شهيد وثلاثة جرحى، فحصل تبادل لإطلاق النار. وبعد السيطرة على الوضع، تم العثور على المرأة مقتولة داخل البيت الذي تحصّن فيه أولئك العناصر، وبحسب شهود عيان فإن المرأة قاتلت حتى قُتلت. وفور وقوع الحادثة، قادت الجهات الرسمية ووجهاء وزعماء القبائل في المحافظة حواراً من أجل «وأد الفتنة»، متبعين ما يسمى بالعرف القبلي «بنادق التحكيم».

وتشكّلت إثرها لجنة رسمية للتحقيق في القضية، يشارك فيها مندوب من أهل المرأة الضحية، ويكون ما تخرج به ملزماً للجميع.

تصدّر ياسر العواضي، وهو يعتبر، بالإضافة إلى كونه مسؤولاً مؤتمرياً، أبرز مشايخ قبيلة آل عواض في منطقة ردمان، ودعا إلى تحرّك قبلي في البيضاء مطالباً بتسليم العناصر المأمنيين إلى القبائل. اعتبرت صنعاء أنه من غير الجائز أن ينظر إلى الحادثة من جانب واحد، بحيث تسلّم القوى الأمنية الرسمية قتلة الأصبحي، فيما قتلة الشباب الستة طلقاء من دون أن تطاولهم يد القانون. سريعاً طوّر العواضي موقفه بالدعوة إلى «النفك»، من خلال تحشيد القبائل ضد حكومة صنعاء، ولا سيما بعض قبائل مأرب ويافع الخاضعتين لسيطرة تحالف العدوان. وقد لاقت القوى المحلية التابعة لحكومة هادي ودول التحالف العواضي في منتصف الطريق، من خلال الدعم الإعلامي والمالي والاستعداد لتقديم الدعم العسكري إن استمرّ الرجل في تمرّده على حكومة صنعاء. وأبرز هؤلاء المسؤولين مستشار هادي، أحمد بن دغر، الذي قال: «يجب أن يكون الجيش جاهزاً لدعم الانتفاضة، ودعم الشيخ ياسر العواضي في البيضاء وتوحيد الصفوف لهزيمة الحوثيين». وقد راهنت قوى العدوان على قدرة العواضي على إدارة المعركة ضد صنعاء، بما يؤدي إلى خلق انتفاضة قبلية شاملة، تتمكّن من الاستيلاء على محافظة البيضاء، وبدا على تصرّفات العواضي تغيّر لافت وتحوّل قرّبه أكثر من قوى العدوان، على رغم نهجه الحذر وتموضعه السياسي المحايد بعد أحداث كانون الأول/ديسمبر 2017، والتي أسفرت عن مقتل الرئيس السابق علي عبد الله صالح. خلال الشهرين الماضيين، تنقّل العواضي بين المخا ومأرب، حيث أجرى لقاءات مع رئيس أركان قوات هادي، اللواء المؤتمري صغير بن عزيز، والمحافظ سلطان العرادة، وآخرين. وفي المخا، على الساحل الغربي، التقى العواضي طارق صالح، قائد ما يسمّى «حرّاس الجمهورية» (المحسوبة على الإمارات رغم ضعف الكيمياء بين الطرفين)، وتمحورت تلك اللقاءات على كيفية إيصال الإمدادات العسكرية إلى داخل محافظة البيضاء بالتزامن مع تفعيل محور العدوان في المحافظة.

فقد العواضي، في الأخير، ورقة قضية الضحية الأصبحي، ولم تعد تصلح شعاراً يتحرّك من خلاله مع القبائل، بعد أن باتت القضية بيد القضاء ورضي شيوخ القبائل بمسار التحقيقات القضائية. وقد ذكر نشطاء أن العواضي أرسل عائلته إلى القاهرة بعد شراء فيلا من قبل وسطاء قريبين من التحالف، بالإضافة إلى تلقّيه ملايين الدولارات. تعزّو مصادر صنعاء توقيت تحرّك العواضي إلى هدف تخفيف الضغط عن مدينة مأرب التي باتت على وشك السقوط. إذ مع إعلان الرجل ما سمّاه «فزعة قبلية»، خصّ بالذكر القبائل التي تجاوبت معه من مأرب والبيضاء وشبوة، وحرّك قواته العسكرية للسيطرة على مديرية ردمان في البيضاء، فيما شنّت طائرات العدوان عشرات الغارات على مواقع الجيش واللجان مستهدفة بشكل أساسي طرق الإمداد. غير أن القبائل، وبالتحديد قبائل البيضاء، رفضت الاستجابة لدعوات الحرب، ولم يخرج مع العواضي سوى بعض المقرّبين. ومساء، الجمعة نجح الجيش واللجان في بسط السيطرة على كامل مديرية ردمان ومداهمة منزل الأخير، فيما أفادت مصادر بأن العواضي تنكّر أثناء فراره من البيضاء إلى مأرب التي قيل إنه وصلها ليلاً.

> تعزو مصادر صنعاء توقيت تحرّك العواضي إلى هدف تخفيف الضغط عن مأرب

فلسطين

العدوّ يتدرّب على سيناريوات الضمّ

لا يزال بنيامين نتنياهو يناور مع بيني غانتس وغابي اشكنازي للوصول إلى سيناريو متفق عليه لخطة الضم. وإلى حين انتهاء المستوى السياسي من لعبته، يستعد المستوى الامني والعسكري لاحتمالات التصعيد المتوقّعة

بعد مناقشة المستوى الأمني الإسرائيلي خلال الشهر الماضي عدداً من السيناريوات التي قد تنشأ نتيجة لتطبيق حكومة العدو قرار ضم الضفة المحتلة، يستعد الجيش والأجهزة الأمنية لتمرين «لعبة الحرب»، الأسبوع المقبل، بقيادة رئيس هيئة الأركان، أفيف كوخافي. اللافت كما ذكر موقع «واي نت»، التابع لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، أن ممثلي الأجهزة (الأمن الداخلي «الشاباك»، والشرطة والجيش) سيخوضون هذا التمرين والنقاشات رغم أن المستوى

> **يشارك في تمرين «لعبة الحرب» الجيش والشرطة و«الشاباك»**

السياسي لم يقدم إليهم أي خرائط توضح أي مستوطنات أو أراضٍ سيجري ضمها بالتحديد وفرض «السيادة» عليها، وهو ما علّق عليه مكتب وزير الأمن، بيني غانتس، بالقول، إن الأخير «أطلع كوخافي على الأراضي التي يدور الحديث حول ضمّها». حتى الآن، تقدر الأجهزة الأمنية أنه في حال ضمت أجزاء محددة، فإن الوضع الأمني غير مرجّح للتصعيد، وأنه قد لا تصل الأمور إلى مرحلة حلّ السلطة الفلسطينية نفسها. لكن مع استمرار حالة الضبابية الناشئة عن «غياب الخرائط»، ستتركز النقاشات خلال الأسبوع المقبل على كيفية التعامل مع أكثر السيناريوات تطرفاً، وحدوث عمليات مقاومة وإطلاق نار، وحول الوسائل التي ستُستخدم لقمع الاحتجاجات أو إحباط هذه العمليات، وأي كتائب في الجيش ستشارك في تهدئة الأوضاع إذا جرى تصعيد على نطاق واسع.

في غضون ذلك، أفادت وسائل إعلام عبرية بأن رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، عرض على غانتس العديد من السيناريوات التي تتراوح من خطوة رمزية وصولاً إلى «بسط السيادة على جميع المناطق المخصّصة لإسرائيل بموجب خطة إدارة (الرئيس الأميركي دونالد) ترامب للسلام». وجرى لقاء بين الرجلين الأربعاء الماضي لإجراء المزيد من المحادثات بشأن خطة الضم قبل الشهر المقبل، الموعد الذي تعهّد نتنياهو أن يبدأ فيه الضم، كما شارك في اللقاء وزير الخارجية، غابي أشكنازي، ورئيس الكنيست، يريف لبفين. وفق القناة الـ13، عرض نتنياهو وليبفين على غانتس وأشكنازي خرائط تفصل المناطق التي ستضمها إسرائيل في إطار أربعة سيناريوات محتملة، ويشمل ذلك ضمّ نحو 30% من أراضي الضفة، أو جزء رمزي صغير، لكن لم يقدم التقرير المزيد من التفاصيل حول السيناريوات. لكن غانتس وأشكنازي عارضا خلال الاجتماع ضم أي أراضٍ يعيش فيها فلسطينيون، وأكدا مجدداً أن الضم يجب ألا يكون من جانب واحد، بل جزءاً من خطوة دبلوماسية أوسع تشمل مزايا للفلسطينيين، وفقاً للتقرير. ولذلك، انتهى الاجتماع «من دون أي تقدم يُذكر»، على أن تُعقد محادثات أخرى في الأيام المقبلة.

(الأخبار)

من المواجهات التي وقعت أمس، قرب رام الله، مع القوات الإسرائيلية رفضاً لسياسة الضمّ (أ ف ب)

تهديد إسرائيليّ بمنع معالجة المياه في غزّة

ينتظر غزة سيناريو كارثيّ في حال طبّق العدو الإسرائيلي تهديده، سواء بمنع الكلور المادة الوحيدة المسموح بدخولها لتعقيم المياه، او خفض نسبة تركيزها من 12 إلى 5٪. فالسرقة الإسرائيلية، ومن ثم الاستنزاف الغربي، للمياه الجوفية، جعلا القطاع على محكّ أزمة لا يكفي مخزون البلديات امامها سوى لأشهر قليلة

غزة ـ **ريم رشيد**

تهدد سلطات العدو الإسرائيلي بمنع إدخال مادة الكلور المخصّصة لمعالجة المياه إلى قطاع غزة، وفقاً لموردي هذه المادة، الذين قالوا إنه كان يُسمح حتى أيام بإدخالها بنسبة تركيز تصل إلى 12% المعتمدة في مرافق المياه، مشيرين إلى أن العدو قد يسمح بدخولها بنسبة تركيز 5% فقط، وهو ما كرّرته مصادر في «مصلحة مياه بلديات الساحل»، في وقت تعتمد فيه الأخيرة كلياً على الكلور ومواد كيمياوية أخرى للتعقيم بصورة كلية. ووفقاً لأحدث الإحصاءات الرسمية، فإن 97% من مياه الخزان الجوفي، المصدر الوحيد للمياه في القطاع المحاصر منذ 14 عاماً، غير صالحة للاستخدام الآدمي كونها مستنزفة وملوّثة منذ سنوات، مع عجز يُقدر سنوياً بعشرة ملايين متر مكعب، فضلاً عن دخول ماء البحر إليها، ما تسبب في ارتفاع نسبة النترات (الملوحة) التي من المفترض ألا تتجاوز الـ 250 ملغم في الليتر، فيما تصل حالياً إلى 1200، ولذلك صار الاعتماد على المعالجة بالكلور أساسياً.

يقول نائب مدير الشؤون الفنية في «مصلحة بلديات الساحل»، عمر شتات، إن «الحديث حالياً لا يشمل مرافق المياه الأساسية إذ لم نبلّغ بمنع إدخال مواد المعالجة من الجانب الإسرائيلي»، مستدركاً: «في حال تم المنع، سنضطر إلى تقنين إنتاج المياه في محطات التحلية أو إيقافها لحماية المحطات». وبشأن الكلور بنسبة تركيز 5%، يرد شتات: «لا يمكن استخدامه لأن أجهزة الحقن داخل المرافق مضبوطة على تراكيز محددة». ومنذ مدة يشتكي المواطنون في غالبية مناطق القطاع من تغيّر مذاق الماء، مطالبين البلديات ومصلحة المياه بإيجاد حل عبر تخفيف نسبة الكلور، وهو ما يُعد «خطأ جسيماً» وفق المهندس أشرف غنيم، مدير «دائرة السلامة والصحة المهنية» في «مصلحة المياه». فالأخيرة تستعمل الكلور السائل في كل مراحل تعقيم وتطهير مياه الشرب في الآبار قبل توزيعها على المواطنين عبر 300 موقع (بئر أو محطة ضخّ أو خزان) خاصة أن هناك مسببات تلوث في شبكات المياه نفسها.

في سبيل ذلك، يُستعمل 90 متراً مكعباً شهرياً من الكلور (هيبوكلوريد الصوديوم) الذي يُشترى شهرياً عبر ممولين في المنظمات غير الحكومية. ويخلط الكلور بنسب متعارف عليها (بحد أدنى 0,3 من الغرام لكل ليتر ماء شرب عند خروجها من البئر مباشرة، قبل الضخّ في الشبكات)، لكن احتمال تلوث شبكة الأنابيب الناقلة يفقد مادة التعقيم الوحيدة دورها. يشار إلى أن إسرائيل تمنع منذ 11 عاماً إدخال مواد أساسية للتعقيم والمعالجة من دون إبداء الأسباب، وفق غنيم الذي يعطي أمثلة على منع «مادة الأوزون وجهاز التعقيم باستخدام الأشعة فوق البنفسجية رغم أنهما من أهم وأنجع وسائل التعقيم، ولذلك نستعمل الكلور السائل فقط كبديل اضطراري».

تعاني غزة منذ 25 سنة نسبة ملوحة عالية في المياه (أ ف ب)

> **تتراجح التوقّعات بين منع كامل لدخول الكلور او تخفيض نسبة تركيزه**

يربط كثيرون بين التهديد الإسرائيلي وقرار السلطة الفلسطينية وقف التنسيق الأمني والمدني مع العدو أخيراً. يقول المدير العام لـ«مصلحة مياه بلديات الساحل»، منذر شبلاق، إن الأمر ليس خارج التوقّعات، لكن «إذا منعت إسرائيل مواد التعقيم، فإننا نتحدث عن كارثة بيئية خاصة مع أزمة كورونا... منذ 25 سنة ومياه غزة تعاني الملوحة ونعالجها بنسبة تعقيم تصل إلى أكثر من 99% في ظل الانتظام في توريد الكلور»، مضيفاً: «محلياً هناك مخزون يكفي ما بين ثلاثة إلى ستة أشهر فقط لأننا نراعي ألا تفقد مادة الكلور صلاحيتها فلم نخزّن لأكثر من ذلك». وبجانب 200 مليون متر مكعب تُستخرج سنوياً من الخزان الجوفي، المصدر الثاني للمياه هو خط «مكروت» الإسرائيلي الذي يغذي القطاع بـ12% من احتياجه المائي، في حين أن المصدر الثالث هو محطات التحلية الثلاث المنتشرة التي تعطي ما بين 10-15% (نحو 16 مليون متر مكعب سنوياً).

«قبل عشر سنوات لم يُسمح بإدخال الكلور، فاعلنا على الملأ أن عليهم غلي الماء قبل استخدامه، وهو ما قد يتكرر»، يقول شبلاق، «نعتقد أن المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة لن تترك غزة من دون مواد تعقيم». ووفق الأرقام الرسمية، يصل الغزي في بيته من 70 إلى 90 ليتراً للشخص في اليوم، وهو أقل من المعدل الذي أوصت به «منظمة الصحة العالمية»: من 100 إلى 150 ليتراً يومياً.

إيران

عام على المسيّرة الأميركية: طهران تتقدّم بحراً

حسن حيدر

قبل عام من اليوم، أسقطت الدفاعات الجوية الإيرانية طائرة الاستطلاع الأميركية «Global Hawk» فوق مياه الخليج، بعد أن اخترقت المجال الجوي لإيران. بعدها بأيّام نشرت قوات الحرس الثوري حطام الطائرة المنتشل من المياه، وذكرت أنها تغاضت عن أن إسقاط طائرة تجسس ماهولة كان على متنها 35 عسكرياً أميركياً، ما دفع الرئيس الأميركي دونالد ترمب، حينها، على شكر إيران من دون إغفال إطلاق الوعيد بالرد على ما وصفته واشنطن بالاعتداء الإيراني. وضعت الخطة الأميركية لضرب مواقع في الداخل الإيراني، وأرسلت الرسائل إلى طهران لتجهّز نفسها لتلقف الضربة الأميركية من دون الرد عليها، إلا أن الوسطاء تلقوا جواباً واضحاً بأن أي طلقة على الأراضي الإيرانية ستواجَه برد قاس من دون أي اعتبارات لجنسية القوات المهاجمة أو الأراضي التي ستستخدم كقاعدة للنيران.

ابتلعت واشنطن الضربة. وما زاد من خيبتها أن الطائرة إسقطت بمنظومة محلية الصنع تحمل اسم «سوم خرداد»، التي كشفت طهران أمس عن مشاهد إضافية لآليات تصنيعها وتطويرها محلياً. إلا أن الأهم هو ما تم الإعلان عنه في هذه المناسبة، وهو تركيب هذه المنظومة على القطع البحرية التابعة للحرس الثوري، ما يعني انتقال الاستراتيجية الدفاعية الإيرانية إلى معادلات جديدة ستحتم على سلاح الجو الأميركي، أو أي قوة جوية مهاجمة، أن تتحسب لخط دفاع متقدم جداً. سابقاً، كانت جزيرة أبو موسى المتنازع عليها مع الإمارات في الخليج هي القاعدة المتقدمة للدفاع الجوي الإيراني، ومع وجود منصات دفاع جوي عائمة أصبح للحرس الثوري القدرة على المناورة الدفاعية وإشغال العدو في نقاط متقدمة لكشف واستهداف أي تسللات جوية محتملة من ناحية المحيط الهندي جنوباً ومنطقة الخليج جنوب غرب البلاد.

الحديث عن القوة البحرية كقوة استراتيجية متقدمة، كما وصفها المرشد السيد علي خامنئي، دفع بـ«الحرس» والجيش لتنفيذ قرارات المرشد بالوصول إلى أعالي البحار. وهذا ما بدأته إيران عبر إرسال مدمرات حربية عبرت قناة السويس وتحرّكت بمحاذاة الحدود البحرية

> **أعلن في المناسبة عن تركيب المنظومة على القطع البحرية التابعة للحرس**

لفلسطين المحتلة، متجاهلة كل التحذيرات التي أطلقها الجيش الإسرائيلي، لتصل إلى طرطوس ومن ثم تعود أدراجها إلى الموانئ الإيرانية بسلام. احتجاز ناقلة النفط، وما تبعه من حرب ناقلات، خرجت إيران منها بانتصار عبر إيصال الشحنة النفطية إلى سوريا ومن ثم الانتقال إلى أعالي البحار والتوجّه إلى فنزويلا.

مهّدت إيران تجارياً لتحدي التواجد الأميركي المنتشر في المياه الدولية. وبالتالي فإن الخطة الإيرانية التي ستنفذ في وقت غير بعيد هي إرسال مدمرات حربية وفرقاطات مقاتلة إلى سواحل الأطلسي لتجول على الخط صفر من الحدود الأميركية. هذه الخطوة ربما لن تشكل تهديداً عسكرياً للأسطول البحري الأميركي، إلا أنها ستشكل طعنة لهيبة الولايات المتحدة العسكرية وتسجّل إنجازاً إيرانياً وتحدياً لإرادة الهيمنة الأميركية.

تتجه طهران لكسر الاحتكار الأميركي لقرارات المنطقة والإقليم. فتراجع واشنطن المستمر أمام طهران على المستوى الاستراتيجي البعيد المدى يقوّي من عود إيران ويدفعها لتعزيز موقعها كخصم قوّي في وجه الولايات المتحدة. النظر إلى الصراع على المدى القصير قد يظهر خسائر إيرانية على المستوى الاقتصادي والمادي أمام تقدم أميركي بفرض مزيد من الحصار. لكن الخطوات الإيرانية الخفيّة الصامتة خلف الكواليس، ضد سياسات واشنطن، تقرأ بمنظور مختلف في دوائر قرار البيت الأبيض، وتحفر خسائر كبيرة في وعي هذه الإدارة التي لم تستطع حتى اليوم الرد على الصفعات الإيرانية المتلاحقة. قد يكون الخرق الوحيد هو اغتيال الجنرال قاسم سليماني، الذي سجل انتصاراً أميركياً لثلاثة أيام، قبل دوي أصوات الصواريخ في قاعدة «عين الأسد». كان بإمكان إيران إحراق عشرات القواعد الأميركية العائمة والثابتة في المنطقة، إلا أن سياسة الموت البطيء توجع الأميركي أكثر من الدخول في مواجهة ستكون اليد الطولى فيها للأميركيين عسكرياً وإعلامياً ومالياً.

النفس الطويل في المفاوضات ينعكس أيضاً على المعركة. تراجع في الهيبة الأميركية وتعاظم في القوة الإيرانية وضعف إسرائيلي أمام محور يتوثب للانقضاض عليها في أية لحظة. تفضل إيران المعارك التي تشكل استنزافاً للعدو، والتي قد تنهك قواه وتهزمه قبل خوضه المعركة الكبرى.

من تجربة إطلاق البحرية الإيرانية، أوّل من أمس، صواريخ «كروز» من «الجيل الجديد» (أ ف ب)

فرنسا

حرب التماثيل والمنطق الاستعماري

لينا كنوش

أثارت عمليات إسقاط تماثيل لرموز تاريخية في عدد من البلدان الأوروبية، كان لها دور مركزي في زمن الاستعمار والعبودية، سجالاً فكرياً وإعلامياً حاداً في فرنسا. مطالبة الحركة المناهضة للعنصرية في هذا البلد بإزالة تماثيل كولبير، الذي صاغ «القانون الأسود» (أي المنظومة القانونية الخاصة بالعبودية)، وجوزيفين دو بوهارني (زوجة نابوليون التي تتحمّل مسؤولية إعادة تشريع العبودية في جزيرة المارتينيك)، وغيرهما من رموز العبودية، فجّرت هستيريا المثقفين الإعلاميين والمعلّقين الرجعيين على شاشات التلفزة.

الفيلسوف ميشيل أونفراي، سأل في مقابلة مع قناة «سي نيوز» في 11 حزيران/ يونيو إن كان من المقبول «تدمير كهوف لاسكو لأن الرجال فيها كانوا على الأغلب يصفعون النساء». تعكس هذه المداخلة لامبالاة المثقفين الإعلاميين العميقة حيال المسألة العرقية وديمومة حالة الإنكار في فرنسا تجاه ماضيها العنصري. وفي القناة نفسها، أعلن إبريك زيمور، المثال النموذجي للمساجل الرجعي الذي صنع من قبل وسائل الإعلام، أن إسقاط التماثيل يعبّر عن «رغبة بتدمير تاريخ شعب وحضارته، لاستئصاله والحلول في مكانه». سبق للمثقف «اليهودي العضوي» الآن فيلكنكراوت، أن شرح سنة قبل هذه الضوضاء الإعلامية أن «السود لا يعرفون ما إذا كانوا أحفاد عبيد أم أحفاد تجار عبيد. الأحفاد، بمعزل عن هويتهم، لا يحق لهم الاستحواذ على عذابات أجدادهم».

الحقيقة هي أن وظيفة أطروحة «الاستبدال الكبير» للعرق الأبيض من قبل أبناء المستعمرات السابقة، والخطاب الذي يفصل التاريخ الاستعماري عن واقع التراتبية العرقية والإثنية في المجتمع الفرنسي الحالي، من منظور المثقفين الإعلاميين، هي تصنيف ضحايا التمييز العنصري باعتبارهم «تهديداً»، لتبرير العنف الذي يمارس بحقهم. ردور فعل هؤلاء المثقفين حيال مطالبة الحركة المناهضة للعنصرية بالعدالة، التي اكتسبت وقعاً أكبر بعد جريمة قتل جورج فلويد، لا تنم فقط عن تعام متعمّد من قبلهم، بل أساساً عن خيارات ايديولوجية وسياسية واضحة. تتجاهل هذه الخيارات الدور الوازن للموروث الاستعماري في إعادة صياغة الاجتماع الفرنسي وكذلك الممارسات الاجتماعية ـ الثقافية الهادفة إلى إنتاج «صدام حضاري» بين النموذج الجمهوري الفرنسي وفئات شعبية يجري «تاصيل» أختلافها «العرقي» لشرعنة اضطهادها.

وكان عالم الاجتماع الفرنسي ماتيو ريغوست، قد برهن في مساهماته على استمرار تحكّم المنظور الأيديولوجي الاستعماري بالسياسات القمعية المعتمدة من الأجهزة الأمنية والبوليسية في فرنسا. يتعرّض أبناء المهاجرين لعمليات تدقيق بالهوية متكرّرة بسبب سحنتهم، في ضواح حشروا فيها كنتيجة لعملية إقصاء جغرافية ورمزية للآخر «الخطير». أما العنف «العادي» الذي يرافق أي اعتقال، فهو يعكس ديمومة نمط السيطرة والتحكّم بالسكان في الحقبة الاستعمارية. غير أن ما يقوم به المثقف الإعلامي هو إنكار هذا «البعد الإثني» في العلاقات الاجتماعية السائدة، المستند إلى الموروث المذكور، بحجة أن الاستعمار والعبودية أضحيا من الماضي. هناك رفض قطعي للاعتراف بالتشابه بين الممارسات الاجتماعية ـ الثقافية في ماضي فرنسا وفي حاضرها، وإصرار على نزع الشرعية عن مطالبة الحركة المناهضة للعنصرية بضرورة الإقرار بحقيقة ما مثّله الاستعمار والعبودية في تاريخ فرنسا.

> **أبناء المستعمرين والمستعبدين يعتبرون ان إعادة النظر بهذا التاريخ قضية نضالية مركزية**

السردية الوطنية الرائجة راهناً تهمّش أهمية الظاهرة الاستعمارية والعبودية في تاريخ البلاد ولا تطرح أية تساؤلات بصددهما. في مواجهة واقع الإنكار، فإن أبناء المستعمرين والمستعبدين يعتبرون أن إعادة النظر بهذا التاريخ قضية نضالية مركزية بالنسبة إليهم أوّلاً، لأن العنف الذي يستهدفهم ليس جزءاً من الماضي، بل هو واقعهم اليومي. عبّر شعار «لنسقط السردية الرسمية» الذي كتب على تمثال غاليييني في باريس، عن هذا الموقف وعن رفض بقاء هذه التماثيل التي تجسّد في المجال العام سيادة هذه السردية الإقصائية والعنصرية والممتنعة عن أي تطوّر. تدمير التماثيل هو أحد الأساليب النضالية المعتمدة من قبل تيار مناهضة العنصرية السياسي الذي يتبلور في فرنسا. وقد أقدم مناضلون من هذا التيار على خطوة عالية الرمزية عندما قاموا بتغيير اسم محطة مترو غاليييني، ليصبح محطة موريس وجوزيت أودان، المناضلين من أجل استقلال الجزائر.

هناك رفض قطعي للاعتراف بالتشابه بين الممارسات الاجتماعية ـ الثقافية في ماضي فرنسا وفي حاضرها (أ ف ب)

تقرير

ترامب لا يستبعد «الانفصال الكامل» مع الصين

حذّر الرئيس الأميركي دونالد ترامب، أول من أمس، من أنّ «الانفصال الكامل» بين الاقتصادين، الأميركي والصيني، يبقى خياراً سياسياً محتملاً لإدارته. وقال على موقع «تويتر»، إنّ «الولايات المتحدة تحتفظ بالتأكيد بخيار سياسي، في ظروف شتى، بانفصال كامل عن الصين». وأضاف أنّ موقفه هذا، هو ردّ على تصريحات للممثل التجاري في إدارته روبرت لايتهايزر، الذي كان على رأس مفاوضات واشنطن مع بكين، خلال الحرب التجارية. وقال لايتهايزر، الأربعاء أمام لجنة في الكونغرس، إنّ الصين حتى الآن ملتزمة بشروط اتفاق مرحلي خفّف من حدّة الخلاف بين البلدين، وإنّ الانفصال الكامل بين الاقتصادين العملاقين مستحيل في الوقت الراهن. كذلك، أضاف: «هذا كان خياراً لسياسة قبل سنوات، لكني لا أظن أنه سياسة أو خيار سياسي منطقي في هذه المرحلة».

ووصف لايتهايزر نفسه بأنه متشدّد في ما يتعلق بالصين، محدّداً خطط إدارة ترامب «لإعادة هيكلة» منظمة التجارة العالمية، حتى تتمكّن من كبح سياسات بكين التي تتعارض، على حد قوله، مع قواعد التجارة الحرّة. لكنّ اعترافه بالارتباط الوثيق بين أكبر اقتصادين في العالم، على الرغم من ضغط ترامب على الشركات الأميركية لنقل إنتاجها إلى الولايات المتحدة، أثار قلقاً في صفوف الجمهوريين.

وقال ترامب، في محاولة للدفاع عن ممثله التجاري: «إنه ليس خطأ السفير لايتهايزر (البارحة في لجنة الكونغرس)، ربما أنا لم أكن واضحاً بما يكفي».

والجمعة، صرّح المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية تجاو ليجيان، في مؤتمر صحافي روتيني، بأنّ «محاولة وقف سلاسل الإمداد الصناعية العالمية بشكل مصطنع، واستخدام النفوذ السياسي لتغيير قواعد الاقتصاد، لا تنمّ عن واقعية ولا حكمة». وأضاف: «هذا لا يمكن أن يحلّ مشكلات الولايات المتحدة، وسوف يتسبّب فقط في مزيد من الأذى للأميركيين العاديين».

> **كان بومبيو قد التقى الأربعاء في هاواي مسؤولاً صينياً كبيراً لمناقشة التوترات**

ووقّع ترامب، في كانون الثاني / يناير، «المرحلة الأولى» من اتفاق تجاري يهدف إلى إنهاء حرب تجارية فرض خلالها رسوماً جمركية مشدّدة على سلع صينية بمليارات الدولارات. وقال وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، إنّ مسؤولاً صينياً كبيراً أكد له بدوره التزام بكين بالمرحلة الأولى التي تتضمّن زيادة الصين حجم مشترياتها من السلع الأميركية.

وكان بومبيو قد التقى، الأربعاء في هاواي، المسؤول الصيني الكبير يانغ جيشي لمناقشة التوترات المتصاعدة. وإلى جانب التجارة، انتقدت الولايات المتحد بشدة الصين لتعاطيها مع تفشي فيروس «كورونا» المستجد، كما انتقدت قانوناً مرتقباً للأمن القومي في هونغ كونغ وتوقيفاتها الجماعية للأويغور ومسلمين ترك آخرين. وقال الدبلوماسي الأميركي الكبير ديفيد ستيلويل، الذي رافق بومبيو، إنّ الولايات المتحدة تصرّ على علاقة «متبادلة أكثر»، لكنّه امتنع عن الحديث عن النقاشات بعمق. وقال ستيلويل للصحافيين: «إن كانت (المحادثات) أكثر إنتاجية أم لا، سأنظر في ما يحدث في الأسبوعين المقبلين. سنرون خفضاً في السلوك العدواني أو لا». وتابع: «إذا جاؤوا إلى الطاولة بمقترح منطقي، سنتعاطى معه الولايات المتحدة بالطبع بشكل منطقي وتبحث عن طرق للعمل نحو نتيجة إيجابية».

(الأخبار، أ ف ب)

جاء موقف ترامب ردّا على تصريحات للممثل التجاري في إدارته (أ ف ب)

إعلانات رسمية

اعلان

تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لصيانة وتعبئة مطافئ الحريق.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 30/ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان - طريق النهر - الطابق «12» - المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2020/7/24 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
بيروت في 16 حزيران 2020
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 584

اعلان قضائي

تدعو المحكمة الابتدائية المدنية في صيدا برئاسة القاضي محمد الحاج علي وعضوية القاضيين رودني داكسيان وريشار السمرا كل من رندة حسين محمد فضل الله والمجهولي محل الإقامة الحضور إلى قلم المحكمة لإستلام نسخة عن أوراق الدعوى رقم 2020/1013.
المقامة من محمد وسهام جواد فضل الله بموضوع إبطال عقد بيع لعلة التزوير
وإلا يتم إبلاغكم بقية الأوراق والقرارات بإستثناء الحكم النهائي بواسطة التعليق على لوحة إعلانات المحكمة.
رئيس القلم / سلام الغوش
عنها: شكري شعبان

مبوب

للبيع

أرض في شويت (بعبدا) كاشفة بحراً وجبلاً، موقع مميز حوالي ال12.000، سعر مدروس و شيك مصرفي مقبول. دون وسيط. 03,357374 RSI

مطلوب

Needed for Nigeria. Business graduated employee with 5y. exp. in accounting. Send cv to: wassimtaleb@gmail.com

وفيات

بمزيد من الرضى والتسليم ننعى إليكم فقيدنا الغالي
الحاج رضا ابراهيم درويش
الذي وافته المنية في دكار السنغال. زوجته الحاجه رباب جعجع. أولاده: جهاد، لطفي ولينا. أشقاؤه: الحاج نايف، الحاج فؤاد، كمال ومالك درويش. للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب

بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي
صدق الله العظيم
إنا لله وإنا إليه راجعون
بمزيد من التسليم والرضى بقضاء الله وقدره ننعى إليكم فقيدنا الغالي والمغفور له
الحاج رضا ابراهيم درويش
عميد الجالية اللبنانية في السنغال
زوجته: الحاجة رباب محمد الجعجع
أولاده: لينا درويش وعائلتها
جهاد درويش وعائلته
لطفي درويش وعائلته
نظراً للظروف الراهنة وحفاظاً على السلامة العامة، ستتم مراسم الدفن في السنغال، على أن يحدد قبول التعازي في موعد لاحق إن شاء الله.
نتمنى من محبيه ومعارفه قراءة الفاتحة عن روحه الطاهرة.
الأسفون: آل درويش وآل الجعجع وأنسباؤهم

بمزيد من الرضى والتسليم بمشيئة الله تعالى
ينعى المحامي خليل فضل ياسين وعقيلته منى محمد عمّار
الفقيد الغالي المرحوم الحاج رضا ابراهيم درويش
المتوفى في السنغال، سائلين الله أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته.

آل جديد وآل الأصيل
وعموم آل مرقص وآل الحكيم ينعون ببالغ الأسى فقيدهم الغالي
المهندس غيث جديد
ابن الشهيد غسان جديد
والدته: المرحومة سهيلة جديد
زوجته: الدكتورة وفاء الأصيل
أولاده: غسان، وائل وخالد
شقيقه: الدكتور فداء
شقيقتاه: وفاء زوجة ميشال مرقص ورجاء زوجة لؤي معروف
أعمامه: المرحوم فؤاد، المرحوم صديق، المرحوم صلاح، المرحوم منير، رياض، طلال وبسام
عماته: المرحومة ملك، المرحومة صديقة، سهام زوجة المرحوم حسن مخلوف، آسيا زوجة محمود جديد ونجوى زوجة المرحوم محمد علي عبود
خاله: المرحوم عبد الله محمود
خالاته: المرحومة مريم زوجة المرحوم عيسى الحكيم، المرحومة كريمة زوجة المرحوم فؤاد جديد، المرحومة رابية زوجة المرحوم الدكتور مأمون الأصيل وهند زوجة المرحوم صلاح جديد
وقد توفي بعد صراع طويل مع المرض في المستشفى ليل الأربعاء 17 حزيران ، وجرت مراسم الدفن صباح يوم الخميس في مدافن الباشورة، بيروت
ونظراً إلى الظروف الراهنة، تقبل التعازي بواسطة الهاتف والواتس أب على الأرقام الآتية:
زوجته: الدكتورة وفاء 971526451260+ / 9613262341+
شقيقه: الدكتور فداء 9613723644+
أبناؤه: غسان: 64211368814+
وائل: 96171431784+
خالد: 96181425918+

استراحة

كلمات متقاطعة 3477

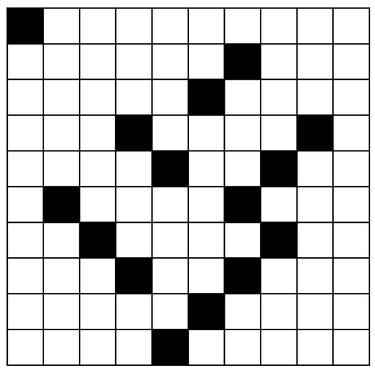

أفقيا
1- لقبّ بشاعر القطرين – 2- حيوان البرّ – السفلة من الناس – 3- شعر الجفن في العيون – إقترف جريمة – 4- يحنق ويغتاظ – دفاع عن الوطن – 5- بحر – إحسان – الإدارة الوطنية للملاحة الفضائية في الولايات المتحدة الأميركية – 6- جزيرة إماراتية نفطية – حيوان بين الكلب والسنوّر قصير القوائم أغبر اللون – 7- هر – قام بعمل عسكري على سبيل التدريب والتمرّن – مقياس مساحة – 8- ظرف مكان – أهلك الشيء – من الفاكهة – 9- سائل يروي العطشان – إسم إبراهيم الخليل الأساسي كما جاء في التوراة – 10- مطار فرنسي – من جبال لبنان

عمودياً
1- والي بيروت وصيدا العثماني كانت له اليد الطولى في إشعال الفتن في لبنان – 2- ما يبيعه الجزّار – عاصمة ليسوتو – 3- يعرّض اللحم للنار لينضج – جوهر لطيف مضيء مُحرق – 4- كثرة الجلبة واللغط المؤدي الى الشرّ – للإستدراك – 5- إسم موصول – من أسماء الأسد – 6- تلاميذ المدارس – من الخضر – 7- أحرف متشابهة – خشبة الثور – برق وتلألأ – 8- طلبَ السماح والتعبير عن الأسف – عاصمة أوروبية – 9- مدينة قديمة في جزيرة صقلية هي اليوم كاتانيا – سلسلة جبال في تاجيكستان وقرغيزيا قرب الحدود الصينية – 10- إسم لخمسة أمراء أمويّين زمن دولة الأندلس

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- السودان – اخ – 2- سوفا – سردين – 3- رحم – سراج – 4- إربد – زي – صرّ – 5- مهر – ناسوا – 6- ابلق – يفك – 7- باكستان – يا – 8- ان – طن – بواب – 9- برغل – 10- شارل ديغول

عمودياً
1- إسلام اباد – 2- لو – رهبان – 3- سفر برلك – ما – 4- واحد – قسط – 5- تنبل – 6- اس – زاما – رد – 7- نرسيس – نبغي – 8- در – أي – ولغ – 9- ايا صوفيا – 10- خنجر – كابول

sudoku 3477

	3			7	8		9	
						2	3	4
9	1	4						
			9	6	4			
3	5	9				6	4	7
			5	3	7			
						9	8	5
2	7	6						
	9		1	4			6	

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3476

8	1	6	4	3	7	5	9	2
5	3	2	6	1	9	4	8	7
7	9	4	2	8	5	1	3	6
2	7	1	3	5	6	8	4	9
4	6	5	1	9	8	2	7	3
3	8	9	7	2	4	6	5	1
6	5	7	9	4	1	3	2	8
1	4	3	8	7	2	9	6	5
9	2	8	5	6	3	7	1	4

مشاهير 3477

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

لاعب كرة قدم إيطالي سابق (1913-1996) وأحد الفائزين بكأس العالم عام 1938. سجّل هدفين من الأهداف الأربعة في نهائي كأس العالم عام 1938 أمام المجر
11+10+1+2+6+4 = الأسلحة الفولاذية ■ 3+5+7+5+8+11 = دولة عربية ■ 9+4 = اسم بوذا في الصين
حل الشبكة الماضية: **حيدر العبادي**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار

هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 حزيران 2020 العدد 4079

عيد الموسيقى هذه السنة... «عالبلكون»!

بشير صفير

هذه السنة، عيد الموسيقى (21 حزيران) مختلف عن السنوات السابقة، بطبيعة حال الوضع غير الطبيعي الذي يعيشه لبنان والعالم. بعض الدول ألغت الاحتفال، وبعضها الآخر نظّمه بما يتناسب مع التدابير الصحية.

في لبنان، العيد «عالبلكون». لا مشكلة. المشكلة في الجهة التي حدّدت أننا، أوّلاً، سنحتفل، وثانياً، كيف. الدولة؟ لا. وزارة الثقافة؟ لا. وزارة الصحة أو الداخلية؟ لا، لا... إحدى هذه الوزارات بالتعاون مع جهة خاصة؟ أيضاً لا. نحن، كشعوب عالم ثالث، وكمستعمرة فرنسية سابقاً وكمستعمرة متعددة الجنسيات حالياً، وكبلد لا يمون على «كذا»، لا دخل لنا بما يحدث عندنا. لا نُستشار حتى. ومن يديرنا، في هذا الشأن المسمى «عيد الموسيقى» ليس حتى دولة أو سفارة. أقل من ذلك. إنه «المعهد الفرنسي» (المركز الثقافي الفرنسي). لا مانع طبعاً في ذلك، فهو أساساً يفعل ذلك منذ سنوات، لكن المشكلة في أنه يحدد المعايير، وبدون أي رعاية أو توجيه أو تعاون مع أي جهة رسمية في هذه الظروف الاستثنائية. لقد قرّر لنا «المعهد» أن نعيّد هذه السنة، وكيف، وفي أي ساعة، وأين. وحدّد لنا أنّ الاحتفال يكون في العزف والرقص والغناء. لم يذكر شيئاً عن بث الموسيقى. فيروز مثلاً. باخ. كلود بارزوتي يا أخي. أي شيء. من يجرؤ؟ قد يكون ذلك ممنوعاً طالما لم يُذكَر بوضوح!

قد يظن البعض، البعض الفرنكوفوني الذي لا يحبّذ انتقاد أمه الحنون، أنّنا نتحامل على «المعهد الفرنسي» في الوقت الذي يحرص فيه الأخير على صحة مجتمعنا. ممكن. ولكن الدليل على هذه الوقاحة في التعامل معنا هو في إلقاء نظرة على ما قررت فرنسا، شخصياً، في هذا السياق. بمعنى آخر، كيف سيكون عيد الموسيقى في فرنسا هذه السنة؟ أولاً، تنظم وزارة الثقافة الفرنسية الحدث بالتعاون مع وزارة الصحة والجهات المختصة والسلطات المحلية والبلديات، والجهات التي من المحتمل أن تستضيف فرقاً موسيقية، في الهواء الطلق أو في أماكن مغلقة. لا ضرورة للدخول في التفاصيل، لكن كل ما يهمّنا قوله إنّ العيد في فرنسا قائم، وليس على الشرفات، علماً بأنّ الوضع الصحي هناك أسوأ من لبنان (نسبياً، يجب أن يسجل لبنان حوالى 15 ألف إصابة لكي يصبح بوضع مشابه لفرنسا اليوم). ويهمّنا أيضاً أن تتخيّلوا ما الذي قد يحدث لو نظّم «المعهد اللبناني» (لو افترضنا وجوده) عيد الموسيقى في فرنسا؟! قد تُغيِر الميراج على بعبدا... وهذا من حقّها!

أضعف الإيمان أن نحرّض على الاحتفال بعيد الموسيقى بالشكل والمكان الذي ترونه مناسباً، وضمن المعايير الصحية التي باتت معروفة، طالما أنّ الدولة غائبة كلياً. خطر ببالنا، في هذه اللحظة، وزير الثقافة اللبناني، فاضطررنا إلى الاستعانة بغوغل لمعرفة اسمه، حتى بعد البحث لم يبدُ مألوفاً، وتسألون لماذا تفرَعَن فرعون؟!

أحد أبرز الروائيين الإسبان المعاصرين وأكثرهم مبيعاً
كارلوس زافون طوى عوالمه ومضى!

خليل صويلح

توفي أمس في مدينة لوس أنجليس الأميركية، الروائي الإسباني كارلوس زافون (1964- 2020) إثر مرض عضال، تاركاً رباعيته «مقبرة الكتب المنسية» في ضمير ملايين القرّاء في العالم. منذ أن صدرت روايته الأولى «ظل الريح»، وضع كارلوس زافون اسمه بين أكثر الكتّاب مبيعاً في العالم. تُرجمت روايته إلى 40 لغة (من بينها العربية عن «منشورات الجمل» وغيرها) بملايين النسخ، وهو ما لم تحظَ به رواية إسبانية أخرى، عدا أمّ الروايات «دون كيخوته» لسرفانتس. الرباعية التي حملت عناوين «ظل الريح» و«لعبة الملاك» و«سجين السماء» و«متاهة الأرواح» متاهة سردية مثقلة بالوقائع المثيرة على خلفية بوليسية، ونبرة شعرية تختزن طبقات من الصراع بين شخصيات هذا العمل الذي ينطوي على فضح المرحلة الفرانكوية، وأذيال الحرب الأهلية الإسبانية وتأثيرها على مصائر وسلوكات البشر.

لكن زافون كروائي إسباني معاصر، سيضع يده بخفة على ميراث أسلافه ملخّصاً المدوّنة الروائية في فضاء واحد ومتاهاتٍ متعددة بأسلوبه الشخصي، لكن هذه الكتابة المراوغة لن تمنعنا من اكتشاف مرجعياته بدءاً من جدّه الأول سرفانتس لجهة المغامرة والشغف بالكتب والفروسية، مروراً بغابرييل غارسيا ماركيز في تحفته «مائة عام من العزلة». هكذا يفتتح روايته «ظل الريح» بالجملة التالية: «لن أنسى أبداً ذلك الصباح الذي اقتادني فيه والدي إلى مقبرة الكتب المنسيّة. حدث الأمر في أوائل صيف عام 1945»، محيلاً إيانا إلى مطلع رواية ماركيز: «بعد سنوات طويلة، وأمام فصيل الإعدام، تذكّر الكولونيل أوريليانو بوينديا، عصر ذلك اليوم البعيد، الذي اصطحبه فيه أبوه، كي يتعرف على الجليد». في «مقبرة الكتب المنسية»، يقول الصبي دانيال سيمبيري: «تجوّلت في تلك المتاهة واستنشقت عبق الصفحات القديمة والسحر والغبار لنصف ساعة. وتركت يدي تلامس ظهر الكتب المرتبة في صفوف طويلة، متكلاً في خياري على حاسة اللمس». حاسة اللمس نفسها التي كان يستنفرها دون سواها أعمى مثل خورخي بورخيس وهو غارق في متاهته الأزلية. كما ستتكشّف الحكاية تدريجاً عن وقائع بوليسية ومطاردات وألغاز، كتلك التي صادفناها في رواية «اسم الوردة» لأمبرتو إيكو، بخصوص الكتاب المسموم، إذ يستبدله روائينا بكتاب شيطاني عنوانه «ظل الريح» لمؤلف مجهول يدعى خوليان كاراكس. طبقات من التناص الذكي، يحبكها كارلوس زافون بمهارة، مستخدماً بنية الدمية الروسية في الحكايات المتوالدة،

في آخر حواراته، قال «لن يُفنى العالم بسبب قنبلة نووية، بل بسبب الابتذال والإفراط في التفاهة»

على غرار البنية السردية الموجودة في «ظل الريح». في روايته اللاحقة «لعبة الملاك»، سوف يستكمل الابن اللعبة، ويختار كتاب «توقعات عظيمة» لتشارلز ديكنز، ليدخل في متاهة أخرى. شخصيات مهووسة بالكتب والمغامرة تجذبنا بمغناطيس سحري إلى عالمها الداخلي كمختبر للعاطفة وقصص الحب، فيما تثقل القبضة البوليسية وأجواء الخوف والكراهية والريبة، على أرواح الشخصيات في ظلّ المرحلة الفرانكوية، وصعود الفاشية، خمسينيات القرن المنصرم من جهة ثانية. وسوف يختزل أحوال الكوكب اليوم في حوار أخير معه قائلاً: «لن يُفنى العالم بسببٍ قنبلة نووية، بل بسبب الابتذال والإفراط في التفاهة».

هبة وغي والآخرون: موسيقيون في مهمة

Musicians on a Mission (موسيقيون في مهمة) حفلة خيرية إلكترونية ستبثّ عبر الإنترنت مباشرة «زيتونة باي» يوم الثلاثاء المقبل. من دون جمهور، ستتناوب مجموعة من الفنانين على الأداء، وهم: السوبرانو هبة القواس (الصورة)، المؤلف الموسيقي وعازف البيانو غي مانوكيان، عازف الإيقاع ألبير بوياجيان، دي جاي رويو، عازف الكمان أندريه سويد وخوسيه كارلوس. يهدف النشاط المرتقب إلى محاولة إعادة النغم إلى قلب العاصمة اللبنانية، وتقريب الناس من بعضهم في هذه الأوقات الصعبة من خلال جمع تبرعات لصالح جمعية وخوسيه كارلوس «ساعد تسعد».

Musicians on a Mission: الثلاثاء 23 حزيران (يونيو) الحالي ـ 18:30 ـ حسابات «أغاني أغاني» على يوتيوب وفايسبوك وإنستغرام.

مهارات البحث والتقارير: ورشة على ZOOM

أعلن «مركز حقوق اللاجئين ـ عائدون» و«مؤسسة ماجد أبو شرار الإعلامية» عن إطلاق دورة تدريبية في مجال «مهارات البحث وإعداد التقارير المصوّرة»، بدعم وشراكة «المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة /بديل». الدورة التي ستجرى عبر تطبيق ZOOM وتتولاها الإعلامية جوانا ناصر الدين (الصورة) والباحث في التاريخ السياسي عزيز المصري، بين 1 و7 تموز (يوليو) المقبل، وتشتمل على 7 جلسات، تعمل كلّ منها على تنمية مهارات البحث وإعداد التقارير السمعية ـ البصرية على ثلاث مراحل. وستقوم لجنة متخصصة بتقييم المشاريع المقدمة ومنح جوائز تشجيعية لأفضلها التي تستوفي الشروط المهنية المطلوبة. (للاستعلام: 03/225898 . المهلة النهائية لتقديم الطلبات: 25 حزيران/ يونيو الحالي)

موعد مؤجّل مع (مسابقة) شوبان!

للمرّة الثانية في تاريخها، أرجئت «مسابقة شوبان»، أحد أعرق وأهم الأحداث العالمية الخاصة بتقييم المواهب الشابة في العزف الكلاسيكي على البيانو، وتحديداً في مجال أداء أعمال فريدريك شوبان (الصورة)، وكان مقرّراً إجراؤها في تشرين الأوّل (أكتوبر)، لكنها أرجئت لخريف 2021 بسبب كورونا. المسابقة المخصصة لعزف أعمال شوبان، تجري كل خمس سنوات، انطلقت عام 1927 في مسقط قلب شوبان (جسده مدفون في فرنسا، أما قلبه ففي بولندا)، قبل أن تتعثر دورتها الرابعة التي كانت ستجري عام 1942، بسبب الاحتلال النازي لبولندا. بعد انتهاء الحرب، أقيمت الدورة الرابعة عام 1949، ثم تلتها دورة 1955 ولم تنقطع الدورات حتى 2015.

كان يمكن إجراء الدورة الـ 18 بدون جمهور (عشاق البيانو والكلاسيك، نقاد، ممثلو كبار الناشرين...)، لكن المنظمين (وزارة الثقافة ومعهد فريدريك شوبان في وارسو) وجدوا أنّ ذلك سيُفقد المسابقة سحرها، وستكون الفرحة باهتة عند إعلان النتائج. أما لائحة المتبارين فستبقى كما هي، وبالتالي سيتاح للمشاركين سنة تمرين كاملة، ما سيرفع المستوى، وهذا ربما الأمر الإيجابي الوحيد من التأجيل. مع الإشارة إلى أن عدد المقبولين بعد تصفية الطلبات بلغ 164، تتوزع جنسياتهم على بلدان مختلفة، على رأسها الصين (34)، فاليابان (31) وبولندا (19). علماً أن أكثر من نصف المشاركين من آسيا، وعدد كبير من الأسماء من أصول آسيوية (مثلاً 7 من 8 كنديين!). أما من أميركا اللاتينية، فيشارك متبار واحد من الجزيرة الشيوعية الصامدة.

BandAdriatica من سالنتو إلى بيروت

اليوم السبت، يدعو «المركز الثقافي الإيطالي» إلى حضور حفلة رقمية تحييها فرقة BandAdriatica عبر تلفزيون Live On Mârs، مباشرة من Sudestudio في سالنتو.

في الثامنة مساءً، يطل أعضاء الفرقة الإيطالية التي تأسست في عام 2000 ليقدّموا مجموعة من المقطوعات التي تأخذ الجمهور في رحلة عبر سواحل المتوسّط.

تتألف BandAdriatica من: كلاوديو بريما (أكورديون ـ غناء/ الصورة)، إيمانويل كولوتشا (ألتو ساكسوفون)، أندريا بيرون (ترومبيت)، فينشنزو غراسو (كلارينيت)، غايتانو كاروزو (ترومبون)، موريس بيليزاري (غيتار إلكتريك)، جوسيبي سبيديكاتو (باص) وأوفيديو فينتوروسو (درامز).

حفلة فرقة BandAdriatica: اليوم ـ 20:00 ـ عبر موقع www.violipiano.it

الأخبار
al-akhbar

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 20 حزيران 2020
العدد 4079 السنة الرابعة عشرة
Samedi 20 Juin 2020 no 4079 14ème année

يواكيم مبارك
فقيه العروبة والتنوير

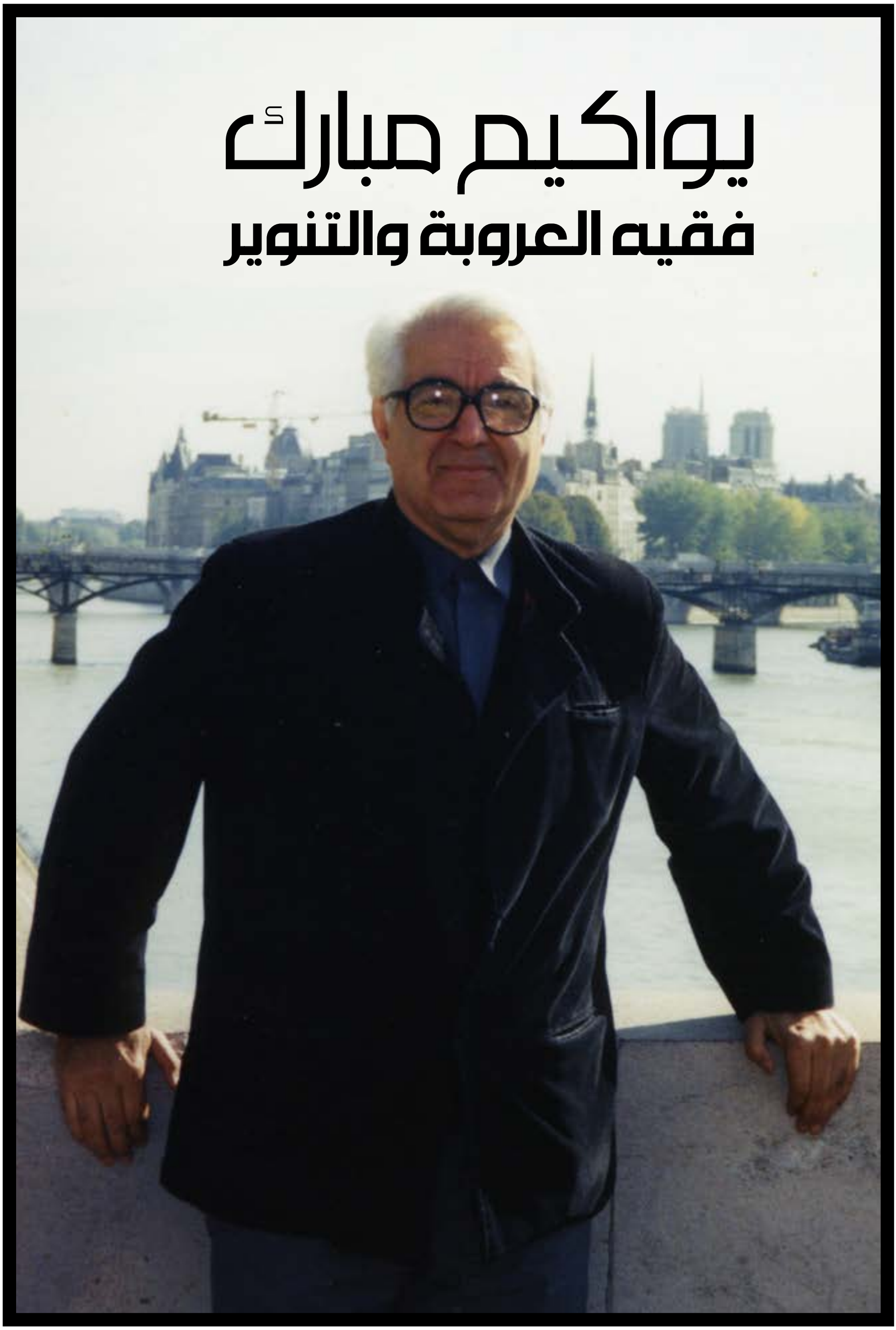

الأب يواكيم مبارك في باريس أواسط الثمانينيات

فكر

ربع قرن على الغياب والتغييب

الأب يواكيم مبارك عانق الإسلام وآمن بالعروبة ورفع راية فلسطين

المشرقي الذي دافع عن مارونيّة حضارية متنوّرة

سركيس أبوزيد

في 24 أيار (مايو) 1995، توفي في باريس العلّامة الأب يواكيم مبارك المتخصّص في العلوم الإسلاميّة والعربيّة والنهضوية والمدافع عن فلسطين والمحرّك للحوار الإسلامي المسيحي. بعد ربع قرن على غيابه، ماذا فعلنا من أجل تكريمه ونشر نتاجه وتعريف الجيل الجديد بفكره وريادته؟ ماذا فعلت الكنيسة المارونية من أجل أحد أبنائها الرواد في العلم والتقوى؟ لماذا هو مغيّب عن الحضور الفكري والإنساني؟
ولد في 20 تموز (يوليو) 1924 في بلدة كفرصغاب قضاء زغرتا الزاوية. تلقى علومه في «إكليريكيّة غزير»، و«جامعة القديس يوسف – بيروت»، و«إكليريكيّة سان سولبيس» في باريس. سمّي كاهناً سنة 1947، ودرس في جامعات فرنسا وبلجيكا.

> اعتبر أنّ المنطقة تعاني من داءين: الاحتلال الصهيوني في فلسطين والتخلف الاقتصادي والاجتماعي

وشارك في أعمال المجمّع المسكوني الثاني (1965).
بعد غياب اربعين سنة قضاها في فرنسا، يتعلم ويبحث ويؤلف، عاد الخوري يواكيم مبارك في عام 1984 إلى لبنان حاملاً حلمه بإصلاح كنيسته ووطنه، صارخاً: «افتح يا لبنان أبوابك، تلك الأبواب الموصدة بوجهي».
خلاصة تجربته ومسيرته، جسّدها في مشروع حياته وهو الدعوة إلى «المجمع اللبناني الثاني» (المجمع اللبناني الأول عُقد عام 1736)، على أمل أن يكون المجمع الطريق إلى الإصلاح والتجديد من أجل إحداث نهضة في الكنيسة تعيدها إلى دور الريادة، بعدما رأى المارونية تتراجع وتتقهقر وتتدهور. وكان قد عضّ على الجرح والتزم الصمت طوال أربعين سنة وأكثر، مع زملاء له عملوا من أجل كنيسة البشر لا الحجر، لأن الغاية هي في الإنسان لا في السبت، وإصلاح السبت لإطلاق حرية الإنسان.
عاد إلى لبنان، ليطرح مشروعه الإصلاحي ردّاً على ما حلّ بالمارونية جرّاء الحرب. فالتهجير الذي تسببت به هذه الحرب، بمثل أوّل تراجع للمارونية في امتدادها المتواصل من شمال سوريا إلى لبنان إلى الأراضي المقدسة والشرق فالغرب، بخاصة أنّ هذا التراجع الجغرافي يخبئ وراءه تراجعاً أكثر خطورة على صعيد الإيمان والأخلاق الخاصة والعامة، ويهدّد بفقدان المارونية قاعدتها اللبنانية. كما أنّ الوضع الكنسي أصبح مهدّداً بالفوضى على مثال الوضع السياسي والاجتماعي في حال عدلت السلطة الكنسية عن تبنّي المشاريع الإصلاحية المنطلقة من القاعدة.
انكبّ في صومعته في قنوبين على كتابة تطلعات الكنيسة وصياغة العمل المجمعي الإصلاحي، فوضع خمسة خطوط عريضة للعمل الإصلاحي وقد حددها كما يلي:

الخطّ الأول: «إحياء التراث السرياني الأنطاكي، لأن هذا العمق الروحاني يجمع كل العائلات الأنطاكية على تنوّعها بالرغم من اختلافاتها». وكان هدفه توحيد الكنائس الشرقية، خاصة الكاثوليكية والأورثوذكسية، في مجمّع واحد.
الخطّ الثاني: إطلاق الرسالة الإنجيلية في التعليم والنشر والإبداع الثقافي، وتغيير صورة الكنسية التي تشوّهت في الحرب.
الخطّ الثالث: الالتزام الوطني «الذي يحمينا من التقوقع في الطائفة المغلقة والخلط الاصولي المرفوض، وهو الذي يقتضي منّا الانفتاح والمشاركة والارتباط مع الغير لنكون مثالاً عالمياً للعيش الواحد الكريم والحر».
الخطّ الرابع: «أن تسخّر كنيستنا كل طاقاتها في سبيل الترقي الاجتماعي والاقتصادي وفي سبيل الإنماء، أي أن تحقق كنيستنا تضامنها الفعلي مع عامة الناس... مع أصالتها الشعبيّة».
الخطّ الخامس: تنظيم البيت الماروني، أي إعادة «تنظيم المارونية، انطاكياً واغترابياً».

موارنة النهضة العربية

لم تتجاوب السلطات الكنسية مع تطلعاته الإصلاحية، فتم تطويق مبادراته. وهذا الموقف السلبي من الأب يواكيم ليس مستجداً، بل هو نوع من العقاب ضد مسيرته ومواقفه. لقد سبق واستبعد من السلطة الكنسية لأنه تميز بالتجدد والإصلاح والانفتاح، فهو دعا إلى مشروع للآتي، وكان لبنانياً ومشرقياً بمارونية حضارية لا تختصر بطقس ولا تتحجر في تقليد ولا تجمّد في مؤسسة.
أضاء على مشاركة الموارنة الفعالة في مجالات النهضة العربية. وهو القائل «كان المطران جرمانوس فرحات بين حلب وروما ولبنان، أول واضع للقواعد العربية في الحداثة، أي سابقاً بأكثر من قرن، عمل أهل الشام ولبنان عندما أطلقوا الحداثة العربية في وادي النيل. وهذا هو بالفعل الحدث الأكبر الذي يجعلنا نتعرف إلى أئمة النهضة في أعمال بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وخليل سركيس وأمين الريحاني وجبران خليل جبران ومي زيادة».
ويستخلص: «خصّصتُ الموارنة بهذا العرض لأشير بوضوح إلى أن جميع الذين ذكرتهم وغيرهم، هم من الأقحاح الموارنة لأنهم من الموارنة الرافضين الاستبلشمنت الماروني... هذا إذاً هو البعد الثقافي الماروني الأصيل في النهضة، وهذا هو البعد الرافض في حقيقته المثالية وفي صحته الإبداعية، أي في النقد الذاتي الذي هو في أساس كل ثقافة وتلاقٍ ونهضة».
الخوري يواكيم مبارك هو استمرار لبعد مارونيّ أساسي تجسد في التاريخ والتراث «هو بعد العصيان والتمرد والرفض... فالموارنة هم أولاً وأخيراً من العصاة والرافضين والمتمردين» حسب قوله.
ويتابع الأب يواكيم استعراض مسيرة الرفض الماروني التي تعاكس المفاهيم السائدة فيقول: «وليس صحيحاً أن الموارنة والوا الفرنجة بالطريقة المبسطة التي تتناقلها كتابات قديمة وحديثة هي أقرب إلى الدعاية منها إلى التاريخ. أولاً، لأن الموارنة لم يتّفقوا يوماً على شيء، وثانياً لأن حكم الموارنة في مرحلة الصليبيين حكم سائر الفئات المشرقية التي تعاملت معهم وفقاً لمصلحتها، قيادات وجماعات. وحتى في أيام المتصرفية التي يقال إنها صنعت لحماية الأكثرية المارونية في لبنان القديم، فإني أتساءل عن الدور الذي لعبته هذه الأكثرية في تلك الحقبة. فإني فخور بانتماء عائلي يشدني إلى حروب يوسف بك كرم، أي إلى الذي ناهض المتصرفية، لا لأهداف شخصية أو طائفية، كما يزعمون، بل لكونه لم يقبل أن يحكم لبنان في ظلّ الدول الكبرى، إلا لحاكم لبناني. والمتمرد الأهدني هذا هو الذي راسل من منفاه ذاك المنفي الجزائري الكبير في خلوته الدمشقية، وكان موضوع المراسلة بين يوسف بك كرم والأمير عبد القادر قيام مملكة عربية».

في وادي قاديشا (شمالي لبنان) العام 1987

بعض غلاة الأنعزالية اتهموه بأنه «عاد إلى مارونيته بعد رحلة طويلة في الإسلام والمسكونية والسياسة». وفي الاتّهام إشارة إلى غوصه بعمق وانفتاح على العالم الإسلامي، فكان مؤلفه الشهير «الخماسية الإسلامية المسيحية» (1972)، واهتمامه بالحوار المسيحي الإسلامي، وصداقته بكبار رجال الدين والعلم في الإسلام، منهم الإمام موسى الصدر وكمال جنبلاط، وتبوئه مركز مستشار ومعاون في «معهد دار الإسلام» (جامعة الأزهر) في القاهرة (1954 – 1975). كما كان يدافع عن حق الشعب الفلسطيني والقضايا العربية العادلة. ولم «يتسامح مع من ينادي بلبنان الصغير المنحصر بين نهر الموت وجسر المدفون». ورفض أن تتحول المارونية من كنيسة إلى طائفة لا ينظر إلا في مصالح أعضائها.
نظر إلى المارونة من ضمن البيئة الواسعة التي يعيشون فيها. في «رسالة إلى أبناء وطني من المسيحيين»، أطلق صرخة وجهها في أيار (مايو) 1969 جاء فيها: «تعاني المنطقة التي ينتمي إليها لبنان من داءين عظيمين: الاحتلال الصهيوني في فلسطين والتخلف الاقتصادي والاجتماعي. وكلاهما أيضاً مفسدان في الأرض. وهناك اتصال وتجاذب بين الظاهرتين... من هنا ضرورة القيام بواجبَين في وقت واحد: إخلاء فلسطين من الصهيونية وإرساء العدالة الاجتماعية في العالم العربي...».
«إذا شاء المسيحي اللبناني أن يتحرر من الخوف والأنانية على حد سواء، وأن يتجاوز مرحلة التعايش التي كانت ضرورية للوصول إلى مؤالفة متبادلة، عليه الدفاع عن الجماهير العربية المحرومة التي وقعت كفقراء يسوع المسيح تحت سيطرة المحتل الصهيوني والمستبد المحلي المأجور للقوى الأجنبية».
ما هو مفهومه للعروبة التي رفعها إلى قضية؟ يشرح الأب مبارك: «من يقول عروبة arabité يرفض العرباوية arabisme، وهي نقل خاطئ لكلمة اعرابية لها طابع بدوي عنصري. لذلك التزم بالعروبة كقوة لقاء واتحاد تنتشر دون أية تفرقة وتمييز على مجمل العالم العربي وسكّانه. فإلى المسلمين، يحتاج المسيحيون لتشكيل أمة المؤمنين التي نادى بها القرآن». ويستخلص: «إن الالتزام الصادق بالعروبة يتطلب في آن واحد تحرير المجتمعات المسيحية والإسلامية من التأثير الطائفي ومن كل آثار الأنظمة الدينية البالية، لتتطور نحو نموذج مجتمعي ديموقراطي متساوٍ، يؤمن للجميع الحقوق والآمال نفسها».
الراحل الكبير كان يعتبر نفسه من المارونة الرافضة والعصاة والمتمردين ودعاة الإصلاح والتجديد، وسعى إلى مجمع لبناني ثانٍ، لكنه لم يُفلح بسبب المماطلة والتردد والفوضى في الكنيسة المارونية، فاختار منفاه الطوعي في صومعته الباريسية بعدما أغلقه في وجهه أبواب الكنيسة المارونية، فكانت وصيته أن يدفن في فرنسا طالما أبواب الإصلاح والتجديد مقفلة. عذراً أبونا يواكيم مبارك، رغم مساعيك وبعد ربع قرن على غيابك، ما زالت أبواب الإصلاح والتجديد في الكنيسة المارونية غير مشرعة، وأنت الموجود في الوجدان الأنطاكي والمسكوني مغيّب عن الحضور في الوعي العام لأبناء الرعية والجمهور المشرقي. فأين الكنيسة اليوم من دعوتك إلى الهوية الأنطاكية والتنسك والزهد؟
هل الكنيسة المارونية عصية على التطور؟
أنصفوا الخوري يواكيم: أولاً اعترفوا بدوره الرائد في الإصلاح الديني، وثانياً التزموا نهجه الفكري الأخلاقي التجديدي، وأخيراً كرّموه خلال هذه السنة وهي ذكرى مرور ربع قرن على غيابه. نداء موجه أولاً إلى الكنيسة التي نذر حياته فيها وأعطاها وزنات وازنة من فكره وزهده. كما أدعو محبيه إلى تجسيد نهجه في مبادرات وأعمال تعيد الروح إلى رسالته الأنطاكية وتجدّد دوره في مشروع لآتي يشمل الإصلاح الكنسي والمؤالفة المسيحية الإسلامية والعلمانية المشرقية والعروبة الحضارية.

* كاتب وناشر لبناني

صورة للأب مبارك تعود الى 1947 عام ترسيمه كاهنا

مؤلفاته

أصدر كتباً في موضوعات مختلفة منها «أسماء الله وصفاته في القرآن»، «إبراهيم في القرآن والإسلام»، «الروزنامة اليهودية والمسيحية والإسلامية»، «المسلمون»، «الخماسية الإسلامية المسيحية»، «قضية القدس»، «الخماسية الأنطاكية المارونية»، وترك أيضاً مؤلفات راعوية وترجمات ومؤلفات باللغة الفرنسية.

جورج قرم: معلّم ومفكّر موسوعي

يسرني أن أضع بين يديّ القارئ العربي بعض الدراسات من بين العديد منها ومن الكتب القيّمة للأب يواكيم مبارك، وهو ذاك العلامة بكل معنى الكلمة الذي تجاهله وطنه رغم غنى التراث الفكري والثقافي والتاريخي الذي تركه لنا.
صحيح أنّ عدداً كبيراً من أعماله الفكرية كُتِبَ باللغة الفرنسية نظراً لإقامته في فرنسا مدة طويلة وحيازته ثلاث شهادات دكتوراه من جامعة باريس، تدور حول تاريخ العلاقات المسيحية والإسلامية منذ نشوء الديانة الإسلامية. ما يميّز أعمال هذه الشخصية الفذة من الناحية الفكرية كما من الناحية الإنسانية، هو هذه النظرة الشاملة المنفتحة والثاقبة ذات الآفاق الحاضرة والمستقبلية البنّاءة والمتفائلة لتأمين الانسجام والمودة ليس بين أبناء لبنان فقط، بل أيضاً بين العرب أنفسهم.
إنّ مقاربة يواكيم مبارك لتاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية مقاربة موضوعية، وإنّ كان متجذّراً في المسيحية ويؤمن بها إيماناً ساطعاً مفتوحاً على أبناء الديانات الأخرى. وهو بحث باستمرار عن القواسم المشتركة، وليس عمّا يتناوله بشكل مكثف العديد من المفكرين والباحثين من الحواجز وشعور التعصّب والانعزال عن الآخر أو كرهه.
واللافت أنه بقدر ما يفهم جذور العقيدة الإسلامية، بقدر ما أدان الموقف السلبي للكنيسة الكاثوليكية على مر العصور تجاه النبي العربي، إنّما يبقى أشد كلامه وتنديده لما أصاب الديانة اليهودية جرّاء نشأة الصهيونية السياسية وإنشاء كيان إسرائيل الغاصب، كأنّ الديانة اليهودية اختُصِرَت في إبراز «صك ملكية عقارية في أراضي فلسطين» حسب تعبيره.
من هذا المنطلق، رأى أنّه لا بدّ من تكاتف اللبنانيين والفلسطينيين لمجابهة الظاهرة الصهيونية الفتاكة. ذلك أنّ تأسيس الكيان الصهيوني يهدد الوجودين الفلسطيني واللبناني معاً. الوجود الفلسطيني لأن أطماع إسرائيل في الأرض المطهّرة من سكانها الأصليين واضحة للعيان، لا لبس فيها، والوجود اللبناني لأنّ التداخل بين الطوائف الدينية اللبنانية والعيش المشترك في ما بينها دون مشاكل تذكر على مر العصور قبل عهد الاستعمار الأوروبي، هو المثال المعاكس للكيان الصهيوني الإقصائي لغير اليهود.
بذل الأب مبارك قصارى جهده خلال الحرب اللبنانية للتوسط والتوفيق بين الجبهة اللبنانية من جهة، والزعماء الفلسطينيين القاطنين في لبنان حينذاك وحلفائهم من التنظيمات اليسارية اللبنانية المتحالفة مع منظمة التحرير الفلسطينية في إطار الحركة الوطنية اللبنانية من جهة أخرى.
إنّ الأب مبارك حقاً معلّم وموسوعي، إذ إنّ جميع دراساته وأبحاثه تجمع بين علم اللاهوت وعلم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم السياسة. لذلك فإنّ هذا الفكر يصيب دائماً في وصفه الدقيق حقيقة المشاكل التي تفجّر النزاعات الحديثة في الشرق الأوسط وتوظّف أديانه فيها، كما هو فكر تفكيكي لكل المواقف المتصلة والمتعصّبة والمنافية لمبادئ الأخلاق الوضعية وطوائفه ومذاهبه الدينية في آنٍ معاً.

مقتطف من مقدمة كتاب «يواكيم مبارك، شخصية استثنائية» (نصوص مختارة ومقدمة: جورج قرم ـ المكتبة الشرقية ـ 2004)

فكرة أخرى عن لبنان

وليد شرارة

لا يمكن فصل عودة نغمة الفيدرالية، على لسان بعض الزعامات الطائفية اللبنانية، عن تفاقم الأزمة العامة للنظام اللبناني. خيال هذه الزعامات محدود جداً في الحقيقة، وهي تلجأ باستمرار إلى التكتيكات المكشوفة نفسها، أي التسعير الطائفي وإلقاء اللائمة على «الآخرين» لتفسير ما وصلت إليه أوضاع البلاد من انهيار كامل، منعاً لمحاسبتها وأمثالها من الزعامات الطائفية على هذا الأمر، والقطع مع الخيارات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي أنتجت الوضع الراهن. حالة الحرب الأهلية الباردة وإعادة إنتاج الانقسام الأهلي الدائم هما شرطان لبقاء هذه الزعامات في مواقعها منذ نشأة الكيان اللبناني. لم تمنع هذه الوقائع العنيدة الأب يواكيم مبارك، من التمسّك بفكرة أخرى عن لبنان الممكن، استمدّها من عمق إيمانه بدين المسيح، وقناعته بأن المشتركات الكبرى بينه وبين الإسلام، وأوّلها الانحياز للإنسان، ولحقّه بحياة كريمة، تشكل أساساً صلباً للإصلاح الداخلي، والمساهمة في نهضة العرب، وفي النضال من أجل عالم أكثر عدلاً. فابن قرية كفرصغاب، وسليل عائلة كهنة خدموا الرعية في وادي قاديشا، اندرج عملياً من خلال أعماله الفكرية ومواقفه السياسية، في التيار الثوري الذي عرّف المسيحية على أنها الانحياز للإنسان عامة، وللفقراء خاصة، أي لاهوت التحرير الذي لعب دوراً مركزياً في المعركة ضد الاستعمار والاستغلال والفصل العنصري والاستبداد، في بلدان الجنوب، خلال ستينات القرن الماضي وسبعيناته وثمانيناته.
بعد إتمام علومه في إكليريكية غزير المارونية، وفي جامعة القديس يوسف، سافر إلى فرنسا لإكمال دراسته الجامعية، وقدم أطروحته «ابراهيم في القرآن الكريم» لنيل الدكتوراه في سنة 1951. والتحق بعدها، كباحث، بالمركز الوطني للدراسات العلمية. ورغم أن إنتاجه الفكري الغزير تناول قضايا لاهوتية وفلسفية وتاريخية وسياسية متعددة، فإنّ اللافت هو إيلاؤه أهمية مركزية للإسلام، عقيدةً وتاريخاً وثقافةً، في إسهاماته. ولا شك في أن اعتقاده بوجود «جذور ابراهيمية مشتركة»، الذي نجم عنه علاقة حميمة بين الإسلام والمسيحية، هو بين دوافع هذا الاهتمام. للأب مبارك عشرات المؤلفات والمقالات عن الإسلام، هدفت جميعها إلى تعريف الجمهور الناطق باللغة الفرنسية مجدداً بهذا الدين، وبتاريخ الشعوب التي تعتنقه وثقافتها. لقد فعل ذلك بتمايز وصل إلى حدّ التناقض مع أعمال غالبية المستشرقين، ومقارباتهم المشحونة بالعداء والأفكار النمطية والمسبقة... تلك التي «اخترعت شرقاً من منظور الغرب» كما يقول إدوارد سعيد. خاض مبارك من خلال جهده العلمي معركة فكرية - سياسية ضد الأطروحات «العلمية» التي شكلت مرتكزاً أيديولوجياً للاستعمار ولرسالته «الحضارية» في مواجهة الإسلام «دين الانغلاق والتعصب واللاعقلانية».
إن مراجعة آراء وكتابات كبار المفكرين الفرنسيين حول الإسلام، كإرنست رينان والكسي دو توكفيل وجول فيري، تكفي للتثبّت من هيمنة مثل هذه الأطروحات. وما يزيد من أهمية جهد الأب مبارك، تزامنه مع احتدام الصراع بين الاستعمار الفرنسي وحركات التحرّر في المنطقة العربية، خصوصاً في بلدان المغرب العربي، وما رافقه من تعبئة أيديولوجية معادية للعرب والمسلمين. ولعلّ الإسلاموفوبيا، أي كراهية الإسلام، المتفشّية في الغرب حالياً، تمثّل امتداداً لها. إضافة إلى دوره المذكور، دافع الأب مبارك عن القضية الفلسطينية، وعمل على دحض حجج الصهاينة وأصدقائهم، وسرديتهم القائمة على تأويل النص التوراتي لإسباغ الشرعية التاريخية على المشروع الاستيطاني الصهيوني.
في محاضرة ألقاها في الندوة اللبنانية بتاريخ 31 أيار 1965، اعتبر الأب مبارك أن «لبنانياً يريد نفسه مسيحياً صرفاً، أو باغلبية مسيحية، يفقد مبرر وجوده، ويحكم على نفسه، كما فعلت إسرائيل، وأن لبنانياً يريد نفسه إسلامياً صرفاً أو باغلبية إسلامية، يحكم على نفسه أيضاً... لم تحقق المسيحية ذاتها إلّا يوم خرجت من البيئة اليهودية في «أورشليم»، تلك البيئة المغلقة على نفسها قومياً وقانونياً وثقافياً، لتستقر في أنطاكية. ففي أنطاكية حمل رسل المسيح للمرة الأولى، اسم مسيحيين، وقد أصبحوا حقاً كذلك بهذا الانتقال المحرّر والمسكوني العالمي... إن بدء العهد الإسلامي يؤرّخ بهجرة النبي لا بولادته. لم ذلك؟ لأنه يوم قطع محمد روابط الدم والقبيلة ليحيك روابط جديدة، وميثاق شرف وحق لأناس غرباء عن وطنه، يومذاك برز إلى الوجود مجتمع جديد وولد الإسلام». ويضيف الأب مبارك: «وهذا بالضبط ما نفعله عندما نتواعد نحن، مسيحيين ومسلمين من كل ملة، على التلاقي في لبنان، فنقر إذ ذاك بأن مصيرنا ليس في الانغلاق، بل في الانفتاح بعضنا على بعض، وبالتفاهم وتبادل التقدير، وخدمة سائر أبناء الإنسانية».
النظام اللبناني دخل في طور الاحتضار. هذا ما تشي به الأزمة المستفحلة حالياً، ويشي به الحديث المتكرر لبعضهم عن التقسيم باسم الفدرالية. إن بقاء لبنان بات مرتبطاً بتجديد يستلهم رؤية يواكيم مبارك.

نصوص

إدواردو غاليانو: ست منمنمات

ترجمة **رشيد وحتي**

1. الذاكرة الهائمة

[03 كانون الثّاني]
في اليوم الثّالث من عام 47 قبل الميلاد، دمّر الحريق أشهر مكتبة في القدم.

كانت جحافل الرّومان قد اجتاحت مصر، وفي إحدى معارك يوليوس قيصر ضدّ شقيق كليوباترا، انتهبت النّار الجزء الأكبر من الاف الاف البرديّات الملفوفة في مكتبة الإسكندريّة.

الفي سنة بعد ذلك، اجتاحت الجحافل الأميركيّة الشّماليّة العراق، وخلال الحرب الصّليبيّة لبوش ضدّ عدوّ اختلقه بنفسه، أحيل الجزء الأكبر من الاف الاف كتب مكتبة بغداد رماداً.

طيلة تاريخ البشريّة، لم يكن من ملاذ وحيد للكتاب في بلوى الحروب والحرائق: كانت المكتبة الهائمة فكرة وزير فارس الأعظم، أبي القاسم إسماعيل، نهاية القرن العاشر.

باعتباره رجلاً نبيهاً، كان هذا الرحّالة الذي لا يكلّ، يحمل معه مكتبته معه. 400 جمل محمّل بـ 117 ألف كتاب، في قافلة طولها كيلومتران. كانت الجمال تشكّل أيضاً سجلاً شاملاً: كان كلّ من قطعان الجمال الـ 32 يحمل العناوين التي يستهلّها حرف من حروف الأبجديّة الفارسيّة الـ 32.

2. الطّبل

من سواحل أفريقيا، سافر حتّى أيدي وذاكرة عبيد مزّارع أميركا.

منع هنالك، كان إيقاع الطّبل يفكّ من كانوا مربوطين ويعطي صوتاً لمن كانوا محكومين بالصّمت؛ وكان ملّاك النّاس والأرض متيقّنين أنّ هذه الموسيقى الخطيرة، التي تنادي الآلهة، تعلن التمرّد.

لذلك كان الطّبل المقدّس غافياً، مخبّأ.

3. التّفسير

كتب الرّاهب الدومينيكانيّ أنطونيو دي لا هويرتي، سنة 1547، بصدد غرابات القارّة الأميركيّة: ببدو، يوم خليقتها، أنّ زند الربّ ارتعش قليلاً.

4. ابواب موصدة

في أغسطس 2004، شبّت النّار في مركز تجاريّ بأسونسيون في الباراغواي.

بورتريه لادواردو غاليانو (Deviant.art)

ارتفع عدد الموتى إلى 196.
تمّ تسكير الباب كي لا يتيسّر لأحد أن يخرج بدون أن يدفع.

5. اقنعة

الأقنعة، في أفريقيا السّوداء، هي الوجوه الحقيقيّة. الوجوه الأخرى تحجب. الأقنعة تفضح.
وفق الطريقة التي ننظر بها إليها، رأساً أو جانبيّاً، من أعلى أو من أسفل، تكشف الأقنعة الأفريقيّة، بسحر فنّيتها، عن مختلف الأشخاص في كلّ شخص، الحيوات والميتات التي تحويها كلّ حياة، ذلك أنّ كلّ واحد، هو في الحقيقة، أكثر من واحد، وأنّ الأقنعة لا تعرف الكذب.

6. صُنِعْنا من ريح

[31 كانون الثّاني]
في مثل هذا اليوم، من 1908، ولد أطاهوالبا يوباناكي.
كانوا، في الحياة، ثلاثة: هو، القيثار والحصان. أو أربعة، إن عددنا الرّيح.

* من مجموعة «أبناء الأيّام»، دار Sigolo XXI. مكسيكو، 2011

سرد

قليل من حكاية قصيرة

محمد قيطازو*

لم يبقَ سوى رائحة التبغ بين
أصابعنا
غسلنا أجسادنا ولبسناها فوق
الظلال
بكينا سوية
وكثيراً ما تعانقنا
وحين أردنا الضحك
هربت منا وجوهنا
الخسارات التي لا تنام أبداً
لم نعد نضع أيدينا في عجلة الأيام
الأيام الجافة
الباهتة
الرتيبة
والتي لخبثها باتت تعرف أسماءنا
عناوين بيوتنا
الطرق المؤدية إلى خيباتنا
حنينا انتظارنا يومها
من اخترع الذنب
يخبرنا أو يخبر أمهاتنا
أننا نعاقب على إثم
اقترفه ابن الجيران
(2)
الأنثى التي مرت ذلك اليوم
التي سمحت لنا أن نشم رائحة
عطرها
وسمحت لنا أن نشعر
ماتت وهي تلد اليوم
أقسمت . الدابة . العجوز
بأنها لم تكن حبلى
لكنها ماتت
ماتت الأنثى
يدي هذه
التي أحتاجها لأمسح بها دمعاً
صفّعت بها خدي
وارتميت فوق أرصفة أنهكتها
الظهيرة
كان على أحدهم أن يمثل الدور
وكنت أقرب المبتعدين عن الحقيقة
جاء المعزّون والمهرولون
نبّاشو الذكريات الكاذبة
مطلقو الشفقات والمدخّنون
ولا زلت أبكي
أصفع خدي وأبكي
وإن سألت لماذا أفعل هذا
أجيب
ماتت أمي وهي تلدني
يوم ماتت الأنثى
هذا ما حصل
(3)
أرخينا بعدها حبال القوارب
تذهب بنا عكس المناديل الملوحة
المناديل المسمومة بغاية الوداع
أسدلنا أشرعتنا
الرياح غير موجودة
لكننا أسدلنا الأشرعة
وقفت أراقب البحر
إذ يسألني عن اسمي فانساه
وكنت أدوخ كثيراً
وكان الوقت مساء حينها
آخر غيبة ضوء أذكرها
عارياً
أرتدي القليل من الأقنعة
لا أتذكر أسماء الأصدقاء
رحل الأصدقاء
وتركوا مسافة شاسعة بين نبضتين
رحلوا ولا أعرف لماذا
لكنني أكملت الحكاية
أمسكت بشبكة صيد ورميت بها
تشدني وأشدها
سحبت من جوف البحر
جسدي
صاح أحدهم
(لدينا ما ناكله الآن)
ما همني إن أكلني الآخرون
أصبح عندي حكاية
(4)
ثم عدنا
كأننا ما رحلنا
أو كأننا لم نجئ
كنت أراقب المستقبلين بعين مفتوحة
والأخرى مغمضة
أعراس الخارج لا تغويني
ثم كانت رائحتي كريهة
رائحة المصير والملح
من شأنها أن تزهق كل عناق قبل أن
يحدث
نمت ليلتها فاتحاً ذراعي
وحلمت بالكثير من اللقاءات
أعتقد أنني لم أستيقظ بعدها
لا يعنيني الموت حقاً
ليس لأنني لا أفهمه
بل لأنني لا أثق به
الجنازة
نصف رجال القرية وكل نسائها
وضعوني في حفرة تتسع لرجلين
وطفل
ردموها بالكثير من التراب
بكوا جميعاً
نعم
بكوا كثيراً
كثيراً بكى الغرباء
وزرعوا قرب رأسي
شجرة لا تتكلم كي تؤانسني
تركوني بمفردي ورحلوا
انتظرت أن أولد مجدداً
بوجه جديد وجسد جديد وملابس
جديدة
بأخطاء جديدة
وخيبات جديدة
ضحكات تعيسة باهتة جديدة
لم يحصل شيء
ولم يأتِ أحد لزيارتي
لم يسألني جيراني الموتى عن اسمي
أيضاً
كنت سعيداً بهذا
ما عدت ملزماً على الانتظار
لن يأتي أحد هذه المرة
نمت ضامّاً نفسي
نمت بذراعين مضمومتين

* سوريا

كارول هيفت ــ «وحيدا» (أكريليك على كانفاس ــ 61 × 45,7 سنتم ــ 2019)

قصة قصيرة

سَرَطان الوسواس القهريّ

أماني أحمد*

كنتُ في المستشفى وقد أزفّت ساعة المخاض، أسكن الأمي بالتفكير في حلمي الذي شارف على التحقّق. حلم لقاء ابنتيّ التوأم اللتين انتظرتهما 17 عاماً.. كان صدى صرخاتي يتردّد في أرجاء المستشفى، وبين الصرخة والأخرى أهمس في أذن زوجي - غير مصدّقة . أنّ الفرج سياتي، وأنّ حياتنا ستتزيّن أخيراً بـ«أروى ومروى»!

كان قدوم أروى ومروى حدثاً استثنائياً في بيت انتظر الأطفال زمناً طويلاً. أضفى هذا الوجود لمسة سحريّة على حياتنا، قبل أن يأتي اليوم الذي انقلبت فيه الأحداث رأساً على عقب!

من أين للطبيب أن يعرف كم لبثنا في انتظار هاتين الفتاتين، كي يتحرّى أسلوباً لطيفاً يخبرنا فيه عن إصابة أروى بالسرطان؟ هكذا قالها دون أن يتكبّد عناء البحث عن مفردات ملطفة من قبيل «المرض الخبيث» أو «ذاك المرض»! وحين انتبه متأخراً إلى صدمتنا، حاول طمأنتنا بالقول إنّ المرض لا يزال في بدايته، فلم يتغيّر الأمر كثيراً. كان اسم المرض ينحت كإزميل مجتهد في عقولنا وقلوبنا.

كانت أروى قد بلغت السادسة عشر. حين بدأت رحلة العلاج، أحطنا بها بحنان راسمين على وجوهنا ابتسامات كاذبة تخفي حزننا المبكر. وإن كان الأمل يتّقد ويخبو في نفوسنا تبعاً لتحسن حالتها أو تراجعها، إلا أن اسم المرض كان يخفق دوما من نور شعلة الأمل.

وكأنّ القدر قرّر أن يرمي مصائبه في وجوهنا دفعة واحدة. ففي حادثة زرعت الهلع في قلوب الجميع، وجدنا مروى مغمى عليها في غرفتها. كان آخر ما نودّ سماعه هو انتكاسة صحيّة لابنتنا الثانية!

أفاقت مروى بعد برهة، ولكن الحالة تكررت كثيراً، وصارت الفتاة تميل إلى الكآبة، وتشكو من ضيق في صدرها، ولا تنفكّ تردّد أمامنا أنّها تشعر باقتراب الموت! كانت سعادتنا كبيرة إذ تأكدنا من خلوّ جسدها من المرض الخبيث، ولكن نتيجة التحاليل السلبيّة حيرتنا، فحالة الفتاة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وجسدها بحسب التحاليل والصور بريء من كلّ علة!

أصبحت الحياة لا تطاق. تغيّرتْ كثيراً حتى شعرتُ أنني قد كبرت مئة عام. أهذه هي ضريبة انتظاري 17 عاماً كي أنجب أطفالاً يا رب؟

لكن الله كان معنا، فهذه أروى قد بدأت بالانتصار على المرض الخبيث بفضل إصرارها وصلابتها واحتضاننا لها، ومتابعتها العلاج على يد أمهر الأطباء. بات لدينا الآن ما يكفي من الوقت كي نجد حلاً لمشكلة مروى العصيّة على الفهم.

قلتُ لزوجي يوماً: سأذهب إلى «الشيخ»، لقد سحروا ابنتنا يا عدنان. لا بدّ أنّ أحداً يضمر لنا السوء ويريد أن يعاقبنا بفلذات أكبادنا. لم يجد زوجي ما يقوله فاكتفى بهزّ رأسه كأنه يسلّم زمام الأمور لي معلناً عجزه.

في الواقع، لم يكن «الشيخ» شيخاً، كان «كاتب حجابات» و«ضارب مندل» و«جامع أرواح»، وحين ذهبتُ إليه، لم يحتج إلى وقت طويل قبل أن يخبرني أنها مسحورة ويعطيني حجاباً أكد لي أنّه سيحميها ويستعافي بفضله بعد مدّة وجيزة. مضت مدّة طويلة، ولم تتغيّر حال مروى!

قريبٌ لزوجي يدرس في الخارج، نصحنا حين عاد لقضاء إجازته الصيفية بزيارة استشاريّ نفسي، مؤكداً أن مرض الفتاة نفسيّ حتماً ما دام جسدها سليماً. لم أقتنع بكلامه كثيراً ولكن ضمير زوجي

سارة بيشاو ــ «مقبرة» (2017)

ما هذا الهراء؟ أنتم تتلاعبون بعقول الناس! ليس لدى ابنتي مشكلة في عقلها وهي ليست مريضة نفسيّة، وساعلم سبب مرضها قريباً. وفّر تحليلاتك واستنتاجاتك..

بقيت هذه الكلمات في جوفي ولم أنطق بحرف واحد منها.

شكرتُ الطبيب على مضض وهممتُ بالمغادرة، وكان آخر ما تناهى إلى مسامعي كلامه وقد وقر في ذهنه أننا لن نعود إليه ثانية: - ولكن.. ضروري جداً أن تخضع الفتاة للعلاج النفسي.. والدوائي.

تقلّص منسوب قلقنا على مروى بعد تلك الزيارة. صرنا نحملها وزر تعبها، ونرمي في وجهها تلك الجمل التافهة التي يحفظها الجميع: . أنت دواءُ نفسك يا مروى، . كوني قويّة، . لا تستسلمي للبأس..

وكنا نعطي كلّ اهتمامنا لأروى التي أصبحت قريبة جداً من الشفاء بحسب تقرير الطبيب المعالج.

وفي يوم خميس بشّرنا الطبيب أنّ أروى شُفيت تماماً وبات بإمكانها العودة إلى البيت وممارسة حياتها الطبيعيّة، مع إجراء فحوصات طبيّة للاطمئنان كلّ ثلاثة أشهر.. عدنا إلى البيت ونحن نتحدّث في شأن الحفل الذي ننوي إقامته احتفاءً بالمناسبة. ولكن الفرحة لم تتمّ! فما أن وصلنا حتى وجدنا مروى مرميّة على الأرض بلا حراك!

كنتُ في المقبرة مع أروى أضع باقةً من الزهور على قبر مروى، والدمع يهطل كالسلال على وجهي، وصرخة مكبوتة في أعماقي تجهد للخروج، حين اقتربت مني عجوز سبعينيّة لتضع يدها على كتفي مؤاسية: . العمر إلك يا بنتي.. مبيّن من دموعك إنها دموع فقد الضنى! طاطأتُ رأسي متمتمةً: . بنتي! . الله يرحمها ويصبّرك.

وكالصدى الطالع من مكان سحيق وصلتني بقيّة العبارة، أو لعلي تخيّلتها تسأل: كيف ماتت؟ -

بسَرَطانِ الوسواس القهريّ!

* فريتاون/ لبنان

قصيدة

أمسكتُ يوماً بيد نهر وساعدتهُ على التمهل

محمد الحموي*

أنا فشلتُ
وأنتِ كذلك.

أنا فاشل سيئ
وأنت فاشلة جيدة.

أنا عانيتُ وأوشك أن أتعافى مئة مرة
في اليوم الواحد
أما أنت
فامورك في تراجع
فلا غيمة تتمهلُ فوقَ صدركِ
ولا معبر واضح أمامكِ
ينجيكِ من ضوء الحديقة.

أنا فشلتُ
ولي أن أكتب عن التجربة
مع فنجان قهوة
فهكذا تتحول الخسارة
إلى عقد ذهب يلمعُ
بمجرد المشاركة.

الرجل أناني بالفطرة
والشاعر بالتحديد
نذلٌ في لباس شخص يتعذب
والمبررات هي نفسها:
أمسكتُ يوماً بيد نهر
وساعدتهُ على التمهلُ؛
أذهب بعدها أموتُ أمام النوافذ
من سماكة الأحلام.

أنتِ فشلتِ
ولن تستطيعي التعبير عن حرقةِ ما
بل ببرمة رأس واحدة
يهطل أمامك السبت
ويذهب يتصرف كأنه الثلاثاء.

حتى طفلانا فشلا
فهذا التواتر بين العادي
والقاتل
لا بدّ يلوح في العيون الحزينة.

لو يضربوني الآن
لو يسحلوني في الشوارع...

لو يرفعوا عني الهمس
وتصبح هذه الفضيحة مستقبلي....

لو يهبني المحيط الواسع
ربع قوّته
أسماكهُ الميتة
الأوساخ المرمية في القاع
الزرقة الكلبة
الهدير الذي يطير عقلي...

نحن فشلنا
وهذه نهاية معقولة
لحالم متوسط
وللفتاة التي كُنتيها.

بيتي الآن بعيدٌ
وبيتكِ يكتمل في المخيلة،
لولا الأدراج العالية بين دماغينا
لعشنا في مطبخٍ واحدٍ
ضيقٍ وواسع
أو بالأحرى
ضيقٍ ويتسع
مع كل قبلة.

لكننا في السفوح
نشبه نجمتين انتثرتا من الدم
نقتتل من وطاةِ ما سيقع
ونردي جثث أحاديث
فوق جثث أحاديث
بينما يهز النبعُ الذي يتسع بيننا
رأسهُ في تأسف.

الوجع هو هذا الاعتياد القهري
على الصبر
هو ألا يخفق لي قلبٌ
بمجرد دخولكِ الغرفة.

نحن فشلنا؛
وهنا الرقص
وهناك ندم.

* سوريا

مارك شاغال ــ «عاشقان في المربع الأخضر» (زيت على كانفاس ــ 60 × 73 سنتم ــ 1970 ـ 1975)

ترجمة

مارك شيندلكا: جسد اللاجئ... خرائط الهجرة والمنفى

خليل صويلح

تتّجه سرديات الألفية الثالثة تدريجاً إلى أرشفة أوجاع الهجرة والمنفى. مكابدات الهروب من جحيم الحروب والكوارث بأمل النجاة وتنفّس هواء آخر. بلاد محكومة بالاستبداد، وبشر عالقون بين كابوس الوطن الأصلي وحلم عبور الحدود نحو الفردوس الأوروبي. قوارب مطاطية وغرقى بلا أسماء. ناجون يروون حكاياتهم المرعبة، وموتى منسيون.

من جهته يلجأ الروائي التشيكي مارك شيندلكا (1984) في «تعب المعادن» (دار نينوى ــ ترجمة يارا عمران) إلى تحديقة أخرى في تلخيص معنى الشمال كجغرافيا معدنية في المقام الأول. يقطع مراهق لا يحمل اسماً مركز الحدود داخل محرّك سيارة بفجوة مفتوحة في أحشاء المحرّك بالكاد تختزن أعضاءه على أمل الالتحاق بشقيقه المهاجر. وإذا بأوروبا مجرد كتل معدنية على هيئة أسوار وجسور وأسلاك وسكك حديد، وحواجز كونكريت وجدران صفيح. جغرافيا عدائية تحوّله إلى رقم بلا اسم في مركز الاحتجاز. وفي المقابل، يواجه الجسد أقسى أهوال الطبيعة. أجساد على حافة الموت بأرواح منهوبة تستيقظ غرائزها لحظة الخطر الذي يحدق بها بين خطوة وأخرى. يعتني هذا الروائي الشاب في كلاجئ سابق من جحيم الشيوعية بكل الجانب من جحيم الحروب والكوارث بأمل النجاة وتنفّس هواء آخر. بلاد محكومة بالاستبداد، وبشر عالقون بين كابوس الوطن الأصلي وحلم عبور الحدود نحو الفردوس الأوروبي. قوارب مطاطية وغرقى بلا أسماء. ناجون يروون حكاياتهم المرعبة، وموتى منسيون.

من جهته يلجأ الروائي التشيكي مارك شيندلكا (1984) في «تعب المعادن» (دار نينوى ــ ترجمة يارا عمران) إلى تحديقة أخرى في تلخيص معنى الشمال كجغرافيا معدنية في المقام الأول. يقطع مراهق لا يحمل اسماً مركز الحدود داخل محرّك سيارة بفجوة مفتوحة في أحشاء المحرّك بالكاد تختزن أعضاءه على أمل الالتحاق بشقيقه المهاجر. وإذا بأوروبا مجرد كتل معدنية على هيئة أسوار وجسور وأسلاك وسكك حديد، وحواجز كونكريت وجدران صفيح. جغرافيا عدائية تحوّله إلى رقم بلا اسم في مركز الاحتجاز. وفي المقابل، يواجه الجسد أقسى أهوال الطبيعة. أجساد على حافة الموت بأرواح منهوبة تستيقظ غرائزها لحظة الخطر الذي يحدق بها بين خطوة وأخرى. يعتني هذا الروائي الشاب في تصوير حركة كل عضلة وارتعاشة كل عضو، وانتفاضة كل عصب في الجسد المهاجر، مستعيداً هويته الشخصية كلاجئ سابق من جحيم الشيوعية إلى أوروبا، ومديناً المواقف الأوروبية حيال اللاجئين وكيفية التعامل معهم كقوة عمل مادية لا أكثر.

جسد المهاجر هنا قطعة معدنية في آلة ضخمة من دون أيّ تعاطف إنساني. هكذا يفحص أحوال الجسد كمادة فيزيائية وحسب. الجسد الذي يتذكّر «خطت امرأة ما بقلم عريض رقماً على يده. كان الحرّاس ينادونه بذلك الرقم. لم يستطع أحد أن يلفظ اسمه هنا، جرّدوه منه تماماً. انتهى به المطاف في مكان يُدعى وحدة الحجز». على منوال العبث بحركة الجسد، يبتكر مارك شيندلكا سرداً موازياً، تبعاً لحركة الأعضاء في استعادة الألم «قضبان حديدية تحاكي تماماً شكل مقعد السيارة. قبضت الذراعان على الشاب، وبدأتا تحشرانه في القفص. نُفّذ كل شيء بهدوء، كأنها مسرحية صامتة. كان يسمع صوت تنهد، وأحياناً صرير حديد، وخشخشة قماش».

لا زمن خطياً هنا في تسجيل وقائع الرحلة، إنما ارتدادات مشوشة نحو الأمكنة الأولى المهدّمة، والجذور البعيدة، والتاتاة اللغوية، واستجابات الجسد المعذّب لأحوال الخوف، وهو يجد نفسه داخل كبسولة معدنية لا تتجده في الصراخ. رحلة التفتيش عن عنوان الشقيق في إحدى مدن الشمال تزداد صعوبة، فالهواتف ممنوعة في مركز الحجز، ولا إنترنت للتواصل. جسد مرتبك بأعضائه بالتناوب مع حركة مكابس الأسطوانات رائحة النفط المحروق وهي تعبق في أنفه. يستلّ عزلته القاسية بقرب تنفيذ خطّة أخرى وهي امتطاء قارب إلى مكان آخر، لكنه لن يرى الشمس أو أسراب الطيور أو رائحة الهواء، إذ سيبقى طوال الرحلة في جوف القارب يصارع وضعية جسده في الأقفاص المتبدلة بين اليابسة والماء والجليد. سوف يهرب من المستشفى التي أُسعف إليها، واستقل قطاراً إلى لامكان، ثم أضاف اسمه إلى صفحة الصليب الأحمر للمفقودين عسى أن يجتمع بأخيه. في القطار، سينصت إلى حكاية الفلسطيني الهارب من مخيّم اليرموك في دمشق، أثناء استجوابه من شرطي. لم يستوعب المحقّق كيف يهرّب فلسطيني إلى سوريا المشتعلة بحرب مدمّرة، حتى بعدما شرح له بأنه وُلد في المخيّم «إذاً هو ليس مخيّماً وإنما ضاحية. أنت من سوريا غير أنك لست سورياً. هل فهمتك جيداً؟» قال الشرطي. تتواتر الحكايات المتجاورة لتكشف عن جغرافيات منكوبة، وأجساد معذّبة، وهلوسات هاربين من جحيم إلى جحيم آخر: «ازدحم بضع مئات في الردهة أمام خريطة أوروبا. أخذت المدن تختفي تدريجاً. اختفت باريس، ثم اختفت برلين واستوكهولم. اختفت دول كاملة، اضمحلت أوروبا تدريجاً من آلاف الأصابع التي لامستها: أصابع ملطخة بالفازلين، مغمّسة برائحة معدنية علقت بها من أجواف القوارب، جنوباً وشمالاً. يقول مارك شيندلكا في حوارٍ معه حول اهتماماته السردية بما يسمى «البدنية»: «نعيش صدمات تاريخية، وقصصاً كتبتها الحياة. مصائر مضطربة على خلفية الأهوال التاريخية. تتذكّر اليوم الحرب العالمية الثانية، بطريقة أو بأخرى. أشعر بأن كل هذه القصص المفجعة تسهم في كسوف كلّي للتاريخ والقتل الرومنسي على يد مصاصة دماء تدعى أوروبا». ويضيف: «يتم تنظيف كل شيء من حولنا بشكل فائق ومبطن وآمن. نشعر أننا يجب أن نكون هنا إلى الأبد. الشيخوخة ببطء مفهوم مبتذل، ربما لم يعد الموت موجوداً، على الأقل وفقاً لاستراتيجيي التسويق. نحن نعمل في منتصف الطريق على الشبكة، حيث نعلق صورة واحدة من أصل مليون على الملف الشخصي في الزاوية الممكنة التي نقوم بضبطها أمام المرأة لفترة طويلة، ثم نمررها عبر أكثر من خمسين مرشحاً قبل أن نكون راضين أخيراً عن صورتنا مما نحن عليه في النهاية. الجدران المصمتة بجنون يائس، ثم تهاووا واحداً بعد الآخر على الأرض» (سنتذكّر هنا ما رواه غسان كنفاني عن اللاجئين الفلسطينيين الذين اختنقوا في خزّان ما تحت شمس الصحراء). شمس الجنوب يطفئها جليد الشمال، هذا ما يخلص إليه مارك شيندلكا برهافة غنائية تنتصر على صلابة المعدن، في كل حركة وردة فعل لا إرادية، وكل وميض من الألم يجتاح الأجساد المنهكة، معتبراً أن قضية اللجوء هي أحد أهم وشوم القرن الحادي والعشرين، مراقباً أحوال الجسد المهاجر كلغة بديلة، فنحن نتكلم بأجسادنا بعدما نهبت همجية السلطة أرواحنا جنوباً وشمالاً. يقول مارك شيندلكا في حوارٍ معه حول اهتماماته السردية بما يسمى «البدنية»: «نعيش صدمات تاريخية، وقصصاً كتبتها الحياة. مصائر مضطربة على خلفية الأهوال التاريخية. تتذكّر اليوم الحرب العالمية الثانية، بطريقة أو بأخرى. أشعر بأن كل هذه القصص المفجعة تسهم في كسوف كلّي للتاريخ والقتل الرومنسي على يد مصاصة دماء تدعى أوروبا». ويضيف: «يتم تنظيف كل شيء من حولنا بشكل فائق ومبطن وآمن. نشعر أننا يجب أن نكون هنا إلى الأبد. الشيخوخة ببطء مفهوم مبتذل، ربما لم يعد الموت موجوداً، على الأقل وفقاً لاستراتيجيي التسويق. نحن نعمل في منتصف الطريق على الشبكة، حيث نعلق صورة واحدة من أصل مليون على الملف الشخصي في الزاوية الممكنة التي نقوم بضبطها أمام المرأة لفترة طويلة، ثم نمررها عبر أكثر من خمسين مرشحاً قبل أن نكون راضين أخيراً عن صورتنا مما نحن عليه في النهاية. الجدران المصمتة بجنون يائس، ثم تهاووا واحداً بعد الآخر على الأرض» (سنتذكّر هنا ما رواه غسان كنفاني عن

تتواتر الحكايات المتجاورة لتكشف عن جغرافيات منكوبة

قصة

سلوى زكزك: غرائبية الواقع السوري

بسام سفر

في مجموعتها القصصية «يوم لبست وجه خالتي الغريبة» (دار آثار للنشر)، تنغمس القاصة سلوى زكزك في لذة الكتابة عن الشخصيات المهمشة في الحياة عبر عين تلتقط حيازات الهامش الإنساني المفتوح على اليومي المعاش في حياة هذه الشخصيات، فهي ترصد أعداداً كبيرة من حيز الهامش لتدفع به إلى واجهة الحياة المختلفة نوعياً عن الاعتيادي. إذ تقدّم نماذج من السلوك البشري العشوائي الحائر في اختيار البديل الأفضل للوصول إلى نمط قادر على إيجاد لحظات سعادة حتى في الطبخ وسط حقول من العتمة والظل في الواقع السوري ما بعد 2011. ومن أوائل شخصيات الهامش تلك المرأة في قصة «التابوت المصدف» النازحة من مناطق القصف والقتال لتعيش في مستودع للصناديق حيث ترتب مقتنياتها في الصندوق البني «بمفتاح خاص، أخبئه في صدري، صندوق تحوّل لخزانة خاصة بي لمجرد أنه الصندوق الوحيد المزود بقفل ومفتاح، خزنة لمقتنياتي الثمينة وعديمة القيمة في الوقت عينه، ورقة الطابو لبيتي الذي هجرته مرغمة، مفتاح البيت، صور الأولاد الذين ابتلعتهم البلدان الغربية وصورة أبي الذي خرج من بيته ولم نعرف عنه شيئاً حتى الآن».

وفي قصة «الثامنة بتوقيت المدينة» تكتب عن سبع شخصيات مهمشة في قصة واحدة أبرزها شخصية أحمد، بائع عبوات الماء أمام القصر العدلي في دمشق

«صوت بعيد يقترب، بلدية، يهرب الجميع، حاملاً شوادر بضاعته على كتفيه، مخفقاً في جمع كل مكونات بسطته، مسقطاً لبعضها على الطريق هدية مجانية لعابرين بعيون يقظة وأيد خفيفة. بلدية، بلدية واحمد واقف يرتعش، لا قدرة له على حمل الإناء المثقل بالعبوات وبقالب الثلج الكبير، يمر شرطي البلدية، يحمل بيده عبوتي ماء بارد يصفع أحمد صفعة خفيفة ويقول له: (خلي معلمك يحاكيني)».

ومن أمتع شخصيات الهامش التي تقدمها زكزك في قصة «جنازات للفرجة» هي الشخصيات النسائية «أم الياس، أم موسى، أم موريس، أم زكي، وشاب يلصق أوراق النعوات على جدران الحي»، حيث تقوم أم زكي بقراءة النعوة حرفاً حرفاً «لا بل تلاوتها بقدسية مع التركيز على اسم الفقيد واسم والديه وزوجته واسم كل العائلات المرتبطة به علها تتعرف إلى علامة ما تربطها بالفقيد، لادّعاء قرابة أو نسب يربط بينهما، فتذرف دموع المعرفة، دموعاً حقيقية على قريب رحل مجرد غريب احتل نبأ وفاته جزءاً من جدران بيتها».

ترتبط شخصيات الهامش في قصص سلوى زكزك بالحياة عن طريق المتابعة الحثيثة للتفاصيل الخاصة بكل شخصية من الشخصيات التي يجمعها همّ واحد أو حالة عامة واحدة، خصيصاً في آليات التعبير عن هذه الحالات في زمن الحرب، فالهامش وشخصياته حاضران في أكثر من زاوية عبر اختيار نماذج إنسانية من هذا الهامش.

وتمتاز قصصها بالغرائبية، إذ تعرض في «فائض عن الحاجة» موضوع الإجهاض للسيدة الحامل لطفلها من دون زواج رسمي، وتتعاطف أختها معها، فتبحث عن حبوب الإجهاض في الصيدليات، وتوضح علاقة أختها بالأنسان التي ترتبط به قائلة «إنما تذرعت بذلك لتجهض شقيقتها الحامل، والتي تواعد حبيباً لها يشترط علاقة كاملة ولا يريد الزواج بها لأنه متزوج وأب لثلاثة أطفال، تمنت لو كان بإمكانها القول لزوجة أخيها بأنها كانت تعرف بأن الدواء ليس لها، وبأن زوجة أخيها استخدمتها طعماً لتغض الطرف عن شقيقتها وعن أية شبهة قد تلحق بها». وفي قصة «هدوء نسبي»، نجد شخصية سميرة التي غادرت دمشق نحو قريتها، وعادت إلى سوق جرمانا في زيارة ليومين. ومع وجودها في السوق، تسقط القذائف، وتقع الإصابات والضحايا، وتعود الحالة الطبيعية للسوق ما بين قذيفة وأخرى، فالرغبة الداخلية الكامنة عند سميرة في الاستمتاع بالحالة الوهمية بعدم وجود أو قطع حالة المتعة في دمشق، واستعادة حالتها الماضوية لأن العودة إلى دمشق بعيدة أو مستحيلة

عين تلتقط حيازات الهامش الإنساني المفتوح على اليومي المعاش

«يرن جوالها ليسألها زوجها عن مكان وجودها؟ تقول له إنها في بيت الجارة، يعلمها بأن قذيفة سقطت في السوق، فتطمئنه بأنها وقعت بعيدة جداً عن البيت، وتواصل التسوق مستجيبة للكذبة الواهمة التي اقنعت زوجها، فاطمأن وأنهى المكالمة، لكن التشنج يئن في عضلاتها، وتبالغ في أعداد مشترياتها بمضاعفة عدد كل ما ورد ذكره في قوائمها السحرية معلنة لنفسها بأن قدوماً آخر لدمشق قد يكون مستحيلاً أو على الأقل بعيداً جداً جداً».

وفي قصة «مجرد اشتياق»، تقدم شخصية امرأة في السبعين تعيش حالة الوحدة، يصدمها سائق من حي الشاغور حيث عاشت طفولتها ومراهقتها وذكرياتها، وقصص الفتيات في الحي. وبذلك ابتعدت عن وحدتها مدة زمنية فتحت أفق الحياة أمامها من خلال زيارتها حيّ الشاغور عبر السائق. لكن الغرائبية تكمن قرارها النهائي حيث السائق «نجدة» في اليوم الأخير لعمله في الحي الموحش حيث تسكن السيدة «رمزية»، رنّ جرس باب البيت ليودع رمزية، لم تجب. عاود رن الجرس مراراً وتكراراً، ضرب بيده على الباب الخشبي، دونما أي ردّ، قلق جداً واعتراه خوف مبهم. نادى الناطور، وكان لديه الجواب: «رمزية في دار المسنين منذ مساء الأمس..».

إنّ الغرائبية القصصية في مجموعة سلوى زكزك، تنتمي إلى واقع سوري غرائبي بدوره ما بعد 2011، حيث يجري الإمساك به عبر كاميرا سردية تسلط الضوء على إنسانية البشر رغم واقع الحرب الأهلية المدمرة التي ضخمت الأنانية، وابتعدت عن ما كان يقال من غيرية وتفانٍ.

تقطف القاصة بنية سردية من الرهيف المتخيّل ما يظهر للعين الفاحصة من جمالية، ولا تغوص في أعماق التربة البنائية للشخصية، إذ تلامسها وتعرض لمشاكلها ذات الخصوصية الإنسانية الواضحة بقدرتها على التقاط شخوص قصصها من قارعة الطريق، لتصبح ذات موقع سردي قصصي خصيصاً مع تسيد الغرائبية في حياة السوريين في كل البقاع التي حلوا بها. وهذا ما ينهض على مستوى الوقائع، كأن ما يجري قصّه واقع زمني توالت وقفه الأحداث، ثم جاءت زكزك فقصّت الأحداث وفق ترتيب آخر.

لمحات

جوزيي أمادو

في الفترة الأخيرة، خصّصت «دار الساقي» مساحة لنشر روايات حديثة ومعاصرة من الأدب العالمي من تشيلي وإيطاليا... أخيراً، اختارت الدار ثلاث روايات للكاتب البرازيلي جورجي أمادو (1912 – 2001) الذي يعدّ أشهر وجوه الأدب البرازيلي الحديث. الروايات الثلاث هي «نساء البن» (ترجمة مالك سلمان) التي اعتبرها الروائي البرتغالي جوزيه ساراماغو تحفة في الفن السردي، بالإضافة إلى «عودة البحار» (ترجمة ممدوح عدوان) حول حياة البحّارة بقصص يأتون بها إلى القرى وأبنائها، بالإضافة إلى «كاكاو» (ترجمة ماري طوق) التي توثّق لحياة مزارعي البرازيل في ثلاثينيات القرن الماضي.

ماريز كوندي

«أنا تيتوبا . ساحرة سالم السوداء» (1986) هي أشهر روايات ماريز كوندي، خصوصاً أنها منحتها الجائزة الفرنسية الكبرى للأدب النسائي حينها ومنحتها اعترافاً لدى قراء الفرنسية. عن «دار الآداب»، ستصدر الترجمة العربية للرواية (تعريب: محمد آيت حنا) حول العبدة تيتوبا التي اتّهمت بالشعوذة في بلدة سالم في ولاية ماساشوستس. تكتب الروائية الغوادلوبية عن بطلتها في مراحل عمرية متعدّدة منذ لحظة حَمْل أمّها بها على متن السفينة التي أقلّتها لكي تُباع مع العبيد الآخرين في جزيرة باربادوس. من مسار حياتها الشخصيّة، تقدّم سيرة للعبودية تتقاطع فيها الوجوه والأزمنة والأمكنة والجغرافيّات منذ القرن السابع عشر.

نغوجي واثيونغو

تعدّ رواية «حبّة قمح» (1967) للكيني نغوجي واثيونغو من أهم الإنتاجات الروائية الأفريقية التي صدرت في ستينيات القرن الماضي ضمن سلسلة خصّصتها دار نشر «هاينمان» الأميركية لكتّاب أفارقة من بينهم تشينوا أتشيبي ونادين غورديمر وستيف بيكو وآخرون. أخيراً صدرت ترجمة عربيّة جديدة عن دار «المدى» (ترجمة: عبد الكريم محفوض)، تجري أحداث الرواية في كينيا خلال صراعها لنيل استقلالها من الاستعمار البريطاني في الخمسينيات. من خلال البطل الغامض موغو. تتبع الرواية مجموعة من أبناء القرى الذين تتبدّل حياتهم مع إعلان حالة الطوارئ في البلاد في أجواء مشحونة بالعنف والاقتتال.

جون لانكستر

بعدما صدرت العام الماضي في لندن، ها هي النسخة العربية من رواية «الجدار» لجون لانكستر باتت متوافرة باللغة العربية («الرافدين» ـ ترجمة: إيناس التركي). الروائي والكاتب البريطاني، يكتب رواية ديستوبية هي خلاصة لهواجس وأفات الحاضر أكثر من كونها رواية عن المستقبل الذي يُنذر بالمآسي والرعب. في الرواية، الإنسان عالق بين إنسانيته القديمة والوحش الذي يمشي باتجاهه، أمام تغيرات الأرض والتدمير الملحق بها جرّاء التلوّث البيئي. هناك الكثير من لحظات القلق المعاصرة: يتمّ بناء جدار فاصل بين البشر، ما يستحضر الرفض الشعبي للاجئين في العالم، والبريكسيت في بريطانيا...

نور مصالحة

بالعودة إلى النصوص القديمة، منذ العصور الفرعونية والآشورية والبرونزية، يكتب نور مصالحة تاريخاً لفلسطين يمتدّ على مدى أربعة آلاف عام في مؤلّفه الجديد «فلسطين: أربعة آلاف عام في التاريخ» (مركز دراسات الوحدة العربيّة). يعيد المؤرخ والأكاديمي الفلسطيني ترميم تاريخ البلاد الذي تعرّض لمنعطفات من الذاكرة والنسيان بفضل الاحتلال والنكبات التي حلّت به. يجمع التراث الفلسطيني الغني، وثقافاته ومجتمعاته، كما يسعى إلى التحقّق من مسار تطوّر الهوية الفلسطينية والحضارات، والإرث التاريخي الذي سبق ولادة الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة في العهد العثماني المتأخر.

عزيز العظمة

ضمن سلسلة «ترجمان» صدرت الترجمة العربية لكتاب «أزمنة التاريخ: مباحث في كتابة التاريخ الإسلامي» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) لعزيز العظمة (تعريب: علي الرضا خليل رزق). في كتابه الصادر بالإنكليزية (2007) يقدّم المفكّر والباحث السوري دراسات لتناول الزمان والزمانية في تواريخ العرب والمسلمين، في اشتغاله على معالجة التاريخ الواقعي والخطاب التاريخي معاً، خصوصاً لناحية علاقتهما الفعلية والوهمية بالواقع. في ثمانية فصول، يعرض العظمة محطّات للنظرة الجوهرية إلى التاريخ، مقدّماً تساؤلات أساسية حول كتابة التاريخ الإسلامي.

نوفيلا

نيل غايمان: أبواب الخيال

يزن الحاج

ليس لكلمة fiction الإنكليزية، ولمثيلاتها في اللغات الأجنبية، مقابل عربيّ دقيق. لن تفيدنا كلمة «أدب» أو «سرد»، لأنّ «فكشن» تتّسع لمعنيَي الكتابة التخييليّة والخيال في آن. الكتابة مرتبطة بالخيال، بل لعلها هي الخيال؛ فحتّى الكتابة «الواقعيّة» تخييليّة بصرف النظر عن مدى صدقها ووثائقيّتها. لا بدّ من خيال كي تكتمل الكتابة وتبتعد من مجال الوثيقة الجافة والتقارير الرسميّة. ولكنّ مع تعاظم الكتابة الواقعيّة، تقلّصت حصّة التّخييل لصالح «الصدق»، إلى درجة بات فيها كلّ خياليّ يعني زيفاً، أو ابتعاداً من الواقع/ الحقيقة. ولكنّ حصة الخيال حافظت على هيمنتها في الأدب الذي انسحب إلى الهامش: الأدب البوليسيّ، الخيال العلميّ، الرعب، الفانتازيا، وغيرها، التي اختُصرت في مصطلح «أدب الجانر». نادرةٌ هي المحاولات الناجحة لمزاوجة هذين النوعين الأدبيّين، وبذا صار لكلّ نوع جمهوره وقرّاؤه، وصار لكلّ منهما نقّاده أيضاً. صار من «الطبيعيّ» ألّا نطلب من كتّاب الجانر أن يكونوا تولستوي مثلاً لأنّهم يكتبون في عالم متباين عن عالمه، لكنّنا نلجأ إليهم حين نريد الخيال؛ وحاجتنا إلى الخيال جوهريّة كحاجتنا إلى الحب وإلى الهرب. نحتاج إلى الهرب من عالمنا، فنلجأ إلى الخيال، وهي ليست حاجة نافلة أبداً.

هذا بالضبط ما أرادته بطلتنا الصغيرة في نوفيلا نيل غايمان «كورالاين» (منشورات «تكوين» ـ الكويت) التي قدّمها لنا هشام فهمي في ترجمة ممتازة، مواصلاً بها مشواره في تقديم أدب الجانر إلى القارئ العربيّ. تودّ كورالاين أن تهرب من عالمها الخانق، ومن رتابة والديها وعالميهما، فتورّطنا معها في رحلة هربها تلك. الفارق هو أنّ كورالاين عاشت هذا العالم فيما نحن نقرؤه خيالاً. وفي هذا الفارق بالذات، نلتقط معنى الفن. تبدأ رحلة كورالاين من باب يُفضي إلى حائط مغلق. لكنّنا ندرك منذ البداية بأنّ هذا الباب سيكون مفتاح رحلتنا القادمة. المشكلة الأزليّة التي يعاني منها كتّاب الجانر هي أنّ أدواتهم مكشوفة لأنّ الكتّاب الذين سبقوهم استخدموها. ويستكمن البراعة في كيفيّة استثمار هذه الأدوات، وفي جذبنا إلى عالم مختلف برغم إدراكنا بأنّه سيكون مختلفاً. حين تُدير المفتاح في الباب، سنترقّب هذا الاختلاف. ولكن ليست كلّ الأبواب سواء، ولذا ما من داعٍ إلى المقارنة مع «أليس في بلاد العجائب» لأنّها مقارنة مجحفة بحق كورالاين وكاتبها على السواء، مع أنّ غايمان وقع أحياناً في فخّ استنساخ أليس، ولكنّ كورالاين آذكى فجبّذته وجنّبتنا خيبة المقارنات.

تهرب كورالاين من الرتابة ومن عالم «لا» إلى عالم يبدو أجمل لأنّه عالمٌ ينتظرها بما بالذات، ستتحقّق أحلامها ورغباتها وخيالاتها كلّها، لأنّه عالم «نعم» المغري. ستجد أماً أخرى وأباً آخر وبيتاً آخر وجيراناً آخرين، لكنّهم في الوقت ذاته يشبهون أمها وأباها وبيتها وجيرانها الأصليّين. براعة غايمان هي في مزج العالمين بحيث تتضاعف تردّد كورالاين، وتتضاعف حيرتنا بشأن العالم «الأصليّ» بين هذين العالمين. أين العالم الموازي حقاً؟ هل هو عالم الرتابة الخانقة، أم عالم الأحلام التي توشك على التحقّق؟ عالم ما وراء الباب شديد الإغواء. الطعام أشهى، الحيوانات تنطق، الألعاب أجمل. المشكلة الوحيدة أنّ سكّان هذا العالم استبدلوا أعينهم بأزرار. والدان باعين طبيعيّة ولكنّهما مشغولان على الكمبيوتر ويتفنّنان في قول «لا» لابنتهما، أم والدان بلبّيان كلّ ما ترغب الفعليّ. ليست الأزرار مشكلتنا الوحيدة في نهاية المطاف، بل إنّنا في عالم ينتزع منك روحك وإنسانيّتك ومعنى بشريّتك. نرافق كورالاين في مغامرتها الشرسة الآن، في رحلة مقاومتها لسيّدة ذلك العالم الكابوسيّ. الرحلة طويلة، طويلة لدرجة أنّنا أحسسنا بالملل أحياناً، ولكنّ كورالاين تنتصر وتعود إلى عالمها. تتضاعف خيبتنا لهذه النهاية غير المنطقيّة بعد الإمال الذي فرضه علينا غايمان، لولا تنبُّهنا فجأةً إلى أنّ الكتاب لم ينته بعد. هذا ما ندركه نحن، وتجهله كورالاين. لا يمكن لك الهرب من الكابوس تماماً، لأنّه سكنك ولو مؤقتاً، وعلقت آثاره بك. وهنا تبدأ الفصول الأخيرة التي غفرنا فيها لغايمان حين أدركنا أنّه نجح في خداعنا، لندخل الآن الرحلة الحقيقيّة التي ستنتهي نهاية سعيدة طبعاً. طبعاً؟ لسنا متأكدين لا نحن ولا كورالاين برغم هدوئنا النسبيّ وعودتنا إلى الرتابة الجميلة ورفض طلباتنا.

صحيحٌ أنّ والديها صارا ألطف وأكثر حناناً، وصحيحٌ أنّها حظيت بقطّ جميل رافقها في مغامراتها بين العالمين، وصحيحٌ أنّها باتت أقرب إلى جيرانها الذين أدركوا نطق اسمها الصحيح (كورالاين لا كارولاين من فضلك!)، وصحيحٌ أنّها صارت تتقبّل أشياء ما كانت تتقبّلها قبل مغامرتها، كأن تأكل بيتزا رديئة أعدّها أبوها، ولكنّ الكابوس لم ينتهِ تماماً (لا، كابوس آخر غير البيتزا الرديئة)، أو على الأقل لا نعلم إنْ كان قد انتهى حقاً، لأنّ الخيال موجود. وطالما أنّ الخيال موجود، فهذا يعني أنّ الخيارات مفتوحة كلّها. ولعلّ هذا ما تريد نوفيلا «كورالاين» أن تقوله: هناك أحلام وهناك كوابيس في المقابل، هناك «لا» وهناك «نعم»، وهناك أبواب، أبواب كثيرة تُفضي إلى عوالم كثيرة. أيّها أفضل؟ ليس مهماً طالما أنّ بوسعك أن تهرب حين تشاء وتعود حين تشاء وتُقبل حين تشاء.

تنتمي رواية «كورالاين» إلى أدب «الجانر»

أوراق

عنبرة المنون

زكريا محمد *

يقول أبو العلاء في بيتين معروفين له:

وَالحتف أيسر والأَرواح ناظرة
طلاقَها من حليلٍ طالمَا فُرِكا
وَالشخص مثل نَجيب رامَ عنبرة
من المنون فلمّا سافها بَرَكا

البيت الأول يتحدّث عن الموت باعتباره طلاقاً، فض زواج، بين الروح والجسد. فالأرواح تنتظر خلاصها من سجن الجسد، كما تنتظر امرأة طلاقاً من قرينها الذي طالما خانها وتركها، أو طالما أنها هي من فركه.

أما البيت الثاني، ففيه أن الشخص، أي الجسد أو الإنسان ككل، يشبه جملاً نجيباً يبحث عن عنبرة المنون، وحين يشمّ هذه العنبرة تنتهي رحلته ويبرك عندها. فقد وصل إلى مراده وغايته. والبروك هنا هو الموت في الحقيقة.

ولا يمكن فهم استعارة أبي العلاء عن العنبر ما لم نفهم قصة العنبر واصطياده أو جنيه. والعنبر مادة صمغية صلبة تتصنّع في أمعاء حوت محدّد يُدعى «حوت العنبر»، وهو يقذفها كما يقذف القيء، في كتل ضخمة، فيستخرجها الناس من البحر. وهو يكون على عدة ألوان، وكان أفضلها ما جاء من الشحر في عمان وسواحل الصومال في ما يبدو. وكان لهذه المادة اعتبار كبير جداً في الماضي. إذ كانت مادة طبية رئيسية، كما أنها كانت أساساً قاعدياً لصناعة العطور. لكن حكايات كثيرة خرافية أسطورية كانت تروى عن هذا العنبر وأصله. وخذ مثلاً على ذلك ما جاء عند النويري:

«قال محمد بن أحمد التميمي: حدثني أبي عن أبيه عن أحمد بن أبي يعقوب أنه قال: العنبر أنواع كثيرة، وأصناف مختلفة، ومعادنه متباينة، وهو يتفاضل بمعادنه وبجوهره، فأجواد أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه جوهراً وأعلاه قيمة، العنبر الشحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشحر من أرض اليمن. وزعموا أنه يخرج من البحر في خِلقة البعير أو الصخرة الكبيرة. قال التميمي: والأصل الصحيح فيه أنه ينبع من صخور في قرار الأرض ومن عيون، ويجتمع في قرار البحر، فإذا تكاثّ وثقل، جذبته طبيعة الدهانة التي فيه، واضطرته إلى الانقطاع من المواضع التي يتعلق بها عند خروجه من الأرض، وطلعت إلى وجه الماء، فطفا على وجه الماء وهو جار ذائب. ومنه ما تقطعه الأمواج فتخرجه إلى السواحل قطعاً كباراً وصغاراً. قال: وحدثني أبي عن أبيه عن أحمد بن أبي يعقوب قال: تقطعه الريح وشدة الموج فترمي به إلى السواحل وهو بفوره لا يدنو منه شيء لشدة حره وفورانه فإذا أقام أياماً وضربه الهواء جمد، فيجمعه الناس من السواحل المتصلة بمعادنه، قال: وربما أتت السمكة العظيمة التي يقال لها: اليال [حوت العنبر] فابتلعت من ذلك العنبر الصافي وهو يفور، فلا يستقر في جوفها حتى تموت وتطفو، ويطرحها البحر إلى الساحل، فيشق جوفها، ويستخرج ما فيه من العنبر، وهو العنبر السمكي ويسمى أيضا: المبلوع. قال: وربما طرح البحر قطعة العنبر فيبصرها طير أسود شبيه بالخطاف، فيأتي إليها ويرفرف بجناحيه، فإذا دنا منها وسقط عليها تعلّقت مخاليبه ومنقاره فيها فيموت ويبلى، ويبقى منقاره ومخاليبه في العنبر، وهو العنبر المناقيري» (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب).

يضيف الدميري: «قال الشافعي: سمعت من قال: رأيت العنبر نابتاً في البحر، ملتوياً مثل عنق الشاة. وقيل: إن أصله نبت في البحر وله رائحة ذكية. وفي البحر دويبة تقصده لذكاء رائحته، وهو سمّها، فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر، فيخرج العنبر من بطنها» (الدميري، حياة الحيوان الكبرى).

وهكذا، فقد بدا لبعض القدماء أن العنبر ليس مادة من جوف الحوت، بل مادة لا علاقة لها به، يأكلها فيموت.

أما ما قاله السيرافي عن العنبر فهو الذي له علاقة ببيت أبي العلاء: «زعم الحسين بن يزيد السيرافي أن الذي يقع من العنبر إلى سواحل الشحر شيء تقذفه الأمواج إليها من بحر الهند، وأن أجوده وأفضله ما يقع إلى بحر البربر وحدود بلاد الزنج وما والاها، وهو الأبيض المدور، والأزرق النادر. قال: ولأهل هذه النواحي نجبٌ يركبونها مؤدبة [مدربة؟] يركبون عليها في ليالي القمر على سواحلهم، وهذه النجب تعرف العنبر، وربما نام الراكب عليها أو غفل، فإذا رأى النجيب العنبر على الساحل برك بصاحبه، فينزل ويأخذه» (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب).

> هدف رحلة الإنسان هو العثور على الموت مثلما أن رحلة الجمال هي العثور على العنبر العطري

وما نقله النويري عن السيرافي فيه بعض التصحيف. فنص السيرافي يقول: «فأما العنبر وما يقع منه إلى سواحل هذا البحر، فهو شيء تقذفه الأمواج، ومبدؤه من بحر الهند. على أنه لا يُعرف مخرجه. غير أن أجود ما وقع إلى بربرا [مدينة بربرة في الصومال] وحدود بلا الزنج والشحر [منطقة في عمان] وما والاها وهو الأبيض المدور الأزرق. ولأهل هذه النواحي نجب [جمال] يركبونها في ليالي القمر ويسيرون بها على سواحلهم قد ريضت [دُرّبت]، وعرفت طلب العنبر على الساحل. فإذا رآه النجيب برك بصاحبه فأخذه» (رحلات أبي زيد السيرافي).

وهكذا، ففي المناطق المذكورة أعلاه تستخدم الجمال لجني العنبر. وهي من طول مراسها معه صارت تشمه وتتعرف عليه، وتبرك قربه حين تصل إليه. بالتالي، فقد بدا كما لو أن رحلتها تنتهي به.

وقد استخدم أبو العلاء هذه الحقيقة كاستعارة. فشبه الإنسان، أو جسده، بنجيب من هذه النجب يظل سائراً حتى يشم العنبر، فيبرك بجانبه. لكنه ليس العنبر العادي، بل عنبر الموت. عليه، فهدف رحلة الإنسان هو العثور على هذا الموت مثلما أن رحلة الجمال هي العثور على العنبر العطري. الموت هو العنبر. هو الغاية. هو الهدف، وهو المطلب.

هذا ما قصده أبو العلاء. وهو بهذا أعطانا استعارة مدهشة ومخيفة حقاً. وهذه هي طريقة أبي. فهو يضرب بالحجر جباهنا.

على أي حال، فإن العنبر كان، وما زال، سبباً في تنكيل البشر بحيتان العنبر، فهي تقتل من أجل الحصول على قيئها، أي عنبرها.

* شاعر فلسطيني